محاسن رسول الله

صلى الله عليه وسلم

اختاره[1] الله من خير أرومات[2] العرب عُنصرًا، ومن أعلى ذَوائب قريشٍ فَرْعًا، وأكرم عيدان قُصَيٍّ مَجْدًا، ثم لم يزلْ بلطفه لنبيّه ﷺ وآله، واختياره إيّاه بالآباء الأخايِر، والأمّهات الطّواهر؛ حتى أخرجَه فى خير زمان، وأفضلِ أوان. تفرَّع من شجرةٍ باسقةِ النَّدى، شامخةِ العلا، عربية الأصل، قرشيّة الأهل، منافِيّةِ الأعطان، هاشميَّة الأغصان، ثمرتها القرآن. تَنْدى بماءِ يَنابيع العلم، فى رياض الحِلم، لا يَذوى عودها، ولا تجفُّ ثمرتها، ولا يَضلُّ أهلها، أصلها ثابت، وفرعها نابت[3]. فيالَها من شجرة ناضرة، خضراءَ ناعمة! غُرستْ فى جبلٍ قَفر، وبلدٍ وَعْر، مَحْل ضرعٍ، غير ذى زرع؛ عند بيتك المحرّم، وبلدك المكرّم، فهو صلّى الله عليه وعلى آله الطيبين الأخيار كما قال بعض الحكماء: لئن كان سليمانُ عليه السلام أُعْطِىَ الرِّيحَ غُدُوُّها شهر وروَاحُها شهر، لقد أعطِىَ نبيُّنا ﷺ البُراق الذى هو أسْرَع من الرِّيح. ولئن كان موسى عليه السلام أعطَى حَجَرًا تتفجّر منه اثنتا عشرة عَيْنًا ، لقد وضع أصابعَه عليه وعلى آله السلام فى الإناء والماء ينبع من بين أصابعه حتى ارتوى أصحابه رضى الله عنهم وما لَهم من الخيل. ولقد كان رديفَ[4] عمِّه أبى طالب بذى المجاز[5]، فقال: يا بن أخى قد عَطِشْتُ، فقال: عطِشتَ يا عمّ؟ قال: نَعم، فثنى وركه فنزل، وضرب بقدمه الأرض، فخرج الماءُ، فقال: اشرب؛ فشرب حتى رَوى. ولئن كان عيسى عليه السلام أحيا النَّفْس بإذن الله، لقد رَفَع ﷺ ذِراعًا إلى فيه فأخبرتْه أنها مسمومةٌ، وكان ﷺ يخبر بما فى الضمائر، وما يأكلون، وما يدَّخرون.

ثم دعاؤه المستجاب الذى لا تأخير فيه، وذلك أن النبىّ ﷺ، لمّا لَقِىَ من قريش والعرب من شدَّة أذاهم له، وتكذيبهم إيّاه، واستعانتهم عليه بالأموال، دعا أن يجدِب[6] بلادُهم، وأن يدخل الفقر بيوتهم، فقال: «اللهم اجعلْها عليهم سنينَ كِسِنى يوسفَ. اللهم اشدُدْ وطأتَكَ[7] على مُضَر» فأمسَكَ الله عزَّ وجلَّ عنهم القَطْرَ حتى مات الشَّجَر، وذَهَب الثَّمر، وقلّت المراعى، فماتت المواشى،

---

(١) ك: «اختار».

(٢) الأرومة، بفتح الهمة وضمها: أصل الشجرة؛ وتستعار للحسب.

(٣) ك: «ثابت».

(٤) الرديف: الراكب خلف الراكب.

(٥) ذو المجاز: موضع بعرفة؛ كان به سوق تقام ثمانية أيام فى الجاهلية.

(٦) ك «تخرب».

(٧) ك: «أوطانك»؛ والصواب ما أثبته من الكامل ٢: ٨٢.

حتى اشتووا القِدَّا[١]، وأكلوا العِلْهِز[٢]، فعند ذلك وفَدَ حاجبُ بنُ زُرارة إلى كِسرَى يشكو إليه الجَهدْ والأزل[٣] ويستأذنه فى رَعْى السَّواد، وهو حين ضَمِن عن قومه وأرهنَه قوسَه[٤] فلما أصاب مُضَر خصاصةُ الجَهد، ونَهكَهُم الأزْلُ، وبلغت الحجَّة مبلغَها، وانتهت الموعظة منتهاها، دعا بفضله ﷺ الذى كان بدأهم به، فسأل ربَّه عزّ وجلّ الخِصبَ وإدرارَ الْغَيْث[٥]، فأتاهم منه ما هدَم بيوتَهم، ومنَعهم[٦] حوائجهم، فكلّموه فى ذلك، فقال: «اللَّهُمّ حوالَيْنا ولا عَلَينا»، فأمطر الله ما حوْلَهم.

ودعا صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم على المستهزئين بكتاب الله عزّ وجلّ. وكانوا اثنى عشرَ رجلًا، فكفاه الله جلّ اسمه أمرهم، فقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[٧].

وقصّة عامر بن الطفيل ودعاؤه عليه[٨]. وناطَقَه ﷺ ذِئبٌ، وأظلّته غمامة، وحنّ إليها عُود المنبر، وأطْعَم عسكرًا من ثريدةٍ[٩] فى جسم قَطَاة، وسَقَى عامًّا، ووضّأهم من ميضأة جسم صاع. ورسوخ قوائم فرس سُراقة بن جُعْشم[١٠] فى الأرض، وإطلاقه له بعد أن أخذ موثِقه، ومَرْيه ضرعَ شاةٍ حائل[١١] فعادت كالحامل، والتزاق الصخرة بيد أبْرَد، وما أراه الله عزّ وجلّ أبا جهل حين أهوى بالصّخرة نحو رأس رسول الله ﷺ وهو ساجد، فظهر له فحلٌ ليَلقُم رأسه، فرمَى بالصخرة، ورجع يشدّ إلى أصحابه، قد انتُفِع لونه، فقالوا له: ما بالُك؟ فقال: رأيت فحلًا لم أر مثله يريد هامتى.

* * *

وأمَّا ما أراه الله أعداءه من الآيات فأكثر من أن يُحصَى.

منها ما رواهُ عبد الله بن وهب[١٢] عن اللَّيث بن سعد، قال: أتى أربد بن ربيعةَ وعامرُ بن الطّفيل إلى رسول الله ﷺ، فقال أحدهما للآخر: أنا أشغلُه بالكلام حتى تقتلَه، فوقف أحدهما على النبى ﷺ، فلمّا طال عليه انصرف، فقال لصاحبه: ما صنعت شيئًا! قال: رأيتُ عنده شيئًا رجلُه فى الأرض ورأسُه فى السماء، لو دنوتُ منه أهلَكَنى، وأمّا أربَد فأصابته صاعقةٌ، وأنزل الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ من أَمْرِ الله﴾[١٣]؛ وأما عامر فإنه قال لرسول الله ﷺ: لنا

---

(١) القد: السير يقد من الجلد غير مدبوغ.

(٢) العلهز: طعام من الدم والوبر.

(٣) الأزل: الشدة والجهد.

(٤) أرهنه الشيء: جعله رهنًا.

(٥) إدرار الغيث: غزارته وشدته.

(٦) ك: «ومنعه».

(٧) سورة الحجر ٩٥، والخبر فى الكشاف ٢: ٤٦.

(٨) فى خبر ذكره المبرد فى الكامل ٤: ٣١، ٣٢؛ قال فيه: إن عامرًا قال للنبى عليه السلام: لأغزونك على ألف أشقر وألف شقراء. فقال عليه السلام: «اللهم إن لم تهد عامرًا فاكفنيه»، ثم ذكر أن عامرًا غدّ بعد ذلك ومات فى ديار بنى سلول بن صعصعة.

(٩) الثريدة: كسرة الخبز المبلولة بماء اللحم.

(١٠) ك: «جعثم»؛ والصواب ما أثبته من القاموس.

(١١) فى الإحياء ٢: ٣٨٦ فى فصل عن معجزاته ﷺ: «ومسح ضرع شاة حائل لا لبن لها».

(١٢) فى ك: «وهب بن منبه»، وهو خطأ؛ فوهب بن منبه مات سنة ١١٠ على المشهور، والليث بن سعد مات سنة ١٧٥؛ ولعل الصواب ما أثبت؛ فالليث من شيوخ ابن وهب، والخبر فى تفسير الطبرى، يرويه عن يونس عن ابن وهب. وانظر تهذيب التهذيب ٨: ٤٥٩.

(١٣) سورة الرعد: ١١.

أهل الوَبَر، ولكم أهل المدَر، فقال ﷺ: «لكم الأعنّة»، فقال: لأملأنّها خيلا عليكم ورَجْلا، فلما وَلّى قال رسول الله ﷺ: «اللّهم اكْفِنيه»، فأخذته غُدّة فقتلته.

وعن محمد بن عبد الله، قال: بينا رسول الله ﷺ قائم يصلّى، إذ رآه أبو جهل، فقال لنفر من قريش: لأذهبن فأقتلنّ محمدًا، فدنا منه؛ قال: ورسول الله ﷺ قائم يصلّى ويقرأ: ﴿اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذى خلق * خلَق الإنسانَ من عَلَقٍ..﴾[١] حتى بلغ آخرها، فانصرف أبو جهل وهو يقول: هذا وأبيكم وعيد شديد، فلقى أصحابه فقالوا له: ما بالُكَ لم تقتلْه! قال: والله إنّ بينى وبينه رَجُلًا له كَتِيتٌ[٢] كَكَتِيت الفحل يعدو بى، يقول: أُدْنُ ادْنُ.

وعن عبد الله، أنّ أعرابيًّا جاء بعُكّة[٣] من سمن، فاشتراها أبو جهل، فأمسك العُكّة وأمسك الثمن، فشكاه الأعرابىّ إلى قريش فكلّموه، فأبَى عليهم، فقال بعض المستهزئين: يا أعرابىّ، أتحبّ أن تأخذ عكّتك وثمنها؟ قال: بلى، قال: أترى هذا الرجل المارّ؟ القَه فكلّمه - يعنى النبى ﷺ. فأتاه الأعرابىُّ وشكا إليه أمر العكّة، فخرج ﷺ حتى وقف بباب أبى جهل فناداه باسمه، فخرج إليه تُرعَد فرائصهُ، فقال له: أدِّ إلى هذا عُكّته وثمنها. فدخل أبو جهل، فدفع إلى الرجل العُكّة، فخرج الأعرابىّ إلى قريش وأخبرهم بذلك، ثم خرج أبو جهل، فقالت له قريش: كلّمناك أن تؤدّى الأعرابى حقه فأبيت، ثم جاءك ابن عبد المطلب فدفعت إليه ذلك! فقال: إن معه لَجَملًا فاتحًا فاه، ينظُر ما أقول، فيلتقم رأسى، فما وجدتُ بدًّا مِن إعطائه حقه.

* * *

وأما أُنس الوَحْش به، فمِمّا حَدَّثنا إسماعيل بنُ يحيى بن محمد، عن سعيد بن سيف بن عمر، عن أبى عمير، عن الأسود قال: سأل رجل هند بن[٤] أبى هالة....[٥]: حدِّثينا بأعجب ما رأيت أو بلغك عن رسول الله ﷺ. فقالت: كلُّ أمره كان عجبًا، وأعجب ما رأيتُ، أنّه كان لى ربَائبُ وحش كنت آنس بهنّ وآلَفُهنّ، فإذا كان يومه الذى يكون فيه عندى لم يزلن قيامًا صوافَّ ينظران إليه، ولا يُلهيهنّ عن النظر إليه شىء، ولا ينظرن إلى غيره، فإذا شخَصَ قائمًا سَمَوْنَ إليه بأبصارهنّ، فإذا انطلق موَلِّيًا لاحظْنَهُ النظر، فإذا غاب شخصُهُ عنهن ضربن بأذنابهنّ وآذانهنّ، وكان ذلك يُعجبنى.

وعن عبدالملك بن عُمير، أنّ النبىّ ﷺ مر بظبية عند قانص، فقالت: يا رسول الله، إن ضَرْعى قد امتلأ، وتركت خِشفين[٦] جائعيْن، فَخَلِّنى حتى أذهبَ وأرويهما، ثم أعود إليك فتربطنى، فقال:

---

(١) سورة العلق: ١، ٢. (٢) الكتيت: أول هدر البكر.

(٣) العكة للسمن كالشكوة للبن، وهى أصغر من القربة.

(٤) ك: «بنت»، تصحيف؛ وهند بن أبى هالة التميمى، ربيب النبى ﷺ أمه خديجة وانظر الإصابة ٣: ٥٧٨.

(٥) بياض بالأصل، والحديث بما يقرب من هذه الرواية نقله صاحب إمتاع الأسماع ٣: ٦٢٧ - مصورة دار الكتب المصرية) عن عائشة من عدة طرق.

(٦) الخشف: ولد الظبية أول ما يولد.

«صيد قَوْمٍ وَرَبيطَتُهم»، قالت: يا رسول الله، فإنى أعطيك عهدَ الله لأرجعنَّ، فأخذ عليها عهدَ الله، ثم أطلقها وأرسلها، فما لبثتْ إلا يسيرًا حتى جاءَت وقد فرَّغت ما فى ضرْعها، فقال ﷺ: «لمن هذه الظبية»؟ قالوا: لفلان، فاستوهَبَها منه، ثم خَلّى سبيلها، وقال: «لو أنّ البهائم تعلم ما تعلمون من الموت، ما أكلتم سمينًا[١]».

* * *

وأما محاسن شهادات السِّباع له بالنبوّة، فمن ذلك ما رُوى أن أبا سفيان بن حرب وصفوانَ بن أمية خرجا من مكة، فإذا هما بذئب يكَدّ ظبيةً؛ حتى إنّ نَفَسه كاد أن يبلغ ظهر الظبية أو شبيهًا بذلك، إذ دخل الظبيُ الحرمَ، فرجع الذئب، فقال أبو سفيان: ما أرضُ سكَنَها قوم أفضل من أرض أسكنها الله إيّانا؛ أما رأيت ما صنع الذئب! أعجب منه حين رجع! فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد بنُ عبدالله بن عبدالمطلب بالمدينة، يدعوكم إلى الجنّة، وتدعونه إلى النار. فقال أبو سفيان: واللات والعزّى، لئن ذكرتَ ذلك بمكة لنتركنّها خِلوًا!

وذكروا أن رافع بن عميرة بن جابر كان يرعى غنمًا، إذ غار الذئب عليها، فاحتمل أعظم شاةٍ منها، فشدّ عليه رافعٌ ليأخذَها منه، وقال: عجبًا للذئب يحتَمل ما حَمَل! قال: فأتعى الذئب غير بعيد؛ وقال: أعجَبُ منه أنتَ! أخذتَ مِنّى رزقًا رزَقنيه الله تعالى؛ فقال رافع: يا عجبا للذئب يتكلّم! فقال الذئب: أعجب من ذلك، الخارج من تِهامة يدعوكم إلى الجنّة، وتأبَونِ إلّا دخولَ النار! فأقبل الرجلُ إلى النبى ﷺ، وقد جاءه جبريل عليه السلام فأنبأه بما كان؛ فقصّ النبىّ ﷺ ما كان، فآمَنَ وصدَّق، وقال[٢]:

رَعيتُ الضأنَ أحميها بنفسى ... من اللِّصّ الخفىِّ وكلِّ ذِيبِ[٣]
فلمّا أن رأيتُ الذئبَ يَعوى[٤] ... وبشّرَنى بأحمدَ من قريب
يبشرنى بدين الحق حتى ... تبيّنَت الشريعةُ للمنيب
رَجَعْتُ له وقد شمَّرتُ ثوبى ... عن الكعبين معتمِدًا ركوبى[٥]
فألْفَيْتُ النبىَّ يقولُ قولًا ... صوابًا ليس بالقول الكذوبِ
ألا أبْلِغْ بنى عمرو بن عَوْفٍ ... وأختَهُمُ جَديلةَ أنْ أجيبى
دُعاءَ المصطفى لا شكَّ فيه ... فإنكِ إن تُجيبِى لا تَخيبى

* * *

ومن محاسن رسول الله ﷺ وبركته، ما رواه محمد بن إسحاقَ، عن سعيد بن ميناء، عن جابر بن عبدالله قال: عملنا مع رسول الله ﷺ فى الخندق، وكانت عندى شُويهة غير سمينة، فقلت: والله لو صنعتُ هذه الشاة لرسول الله ﷺ! قال: فأمرت امرأتى، فطحنت شيئًا من شعير، فصنعت له

---

(١) ك: «سمنا».
(٢) الاستيعاب ١٧٥.
(٣) الاستيعاب: «من اللصت». واللص واللصت سواء.
(٤) الاستيعاب: «فلما أن سمعت».
(٥) الاستيعاب: «على الساقين قاصرة الركيب».

منه خبزًا، وذبحتُ الشاة، فشويتها، فلما أمسينا، وأراد رسولُ الله ﷺ الانصرافَ، قلت: يا رسول الله، إنّى صنعت لك شُوَيهةً وشيئًا من خبز الشعير، وأحِبّ أن تنصرف معى إلى منزلى - وإنما أريد أن ينصرف معى رسولُ الله ﷺ وحدَه - فلما قلت له ذلك، قال: نعم، ثم أمر بصارخٍ فصَرَخ: «انصرفوا إلى بيت جابر» فقلت: «إنَّا لله وإنَّا إلَيْهِ راجِعُون»! وأقبل رسول الله ﷺ والناس معه، فأخرجتُها إليه، فسمى ثم أكل وتواردها الناسُ، كلّما فرغَ قوم قاموا وجاءَ قومٌ حتى صَدَر أهلُ الخندق عنها.

وروى عن محمد بن إسحاق أن ابنةً لبشير بن سعد، قالت: دعتنى أمّى عمرة ابنة رَواحة فأعطتنى حَفْنَة تَمْر فى ثوبى وقالت: يا بُنَيَّة، اذهبى إلى أبيك بهذا. قالت: فأخذتها وانطلقت بها، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبى، فقال عليه الصلاة والسلام: «تعالَىْ يا بُنيّة، ما هذا معك؟» قلت: تمر بعثتْ به أمى إلى أبى بشير بن سعد، فقال: «هاتى به» فصببتهُ فى كَفّىْ رسول الله ﷺ فما ملأتهما. ثم أمر بثوب فَبُسِط، ثم دَحَا[1] التمر عليه فتبدَّد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عندَه: «ناد فى أهل الخندق، أن هلمُّوا إلى الغدَاء». فاجتمع أهلُ الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل هو يزداد حتّى صَدَر أهل الخندق عنه وهو يسقط من أطراف الثوب[2].

* * *

ومن آياته ﷺ ما لا يعرفها إلّا الخاصّة، وهى محاسن أخلاقه وأفعاله التى لم تجتمع لبشر من قبله، ولا تجتمع لأحد من بعده؛ وذلك أنا لم نَرِ، ولم نسمع لأحد قطّ صبرَه وحلمَه[3]، ووفاءَه وزهدَه، وجودَه ونجدتَه، وصدقَ لهجتِه، وكرم عشيرته وتواضعه، وعلمه وحفظه، وصمته إذا صمت، ونطقه إذا نطق، ولا كعفوه وقلّة امتنانه، ولم نجد شجاعًا قطّ إلّا وقد فرّ؛ مثل عامر فرّ عن أخيه الحكَم يوم الرُّقَم[4]، وعيينه فرّ عن أبيه يوم نِسار[5]، وبسْطام عن قومه يوم العُظالى[6].

* * *

وكان له ﷺ وقائع، مثل أُحُد وحُنَيْن وغيرهما فلا يستطيع منافق أن يقول: هابَ حَرْبًا أو خاف.

* * *

---

(١) دحاه: بسطه.

(٢) سيرة ابن هشام ٣: ٢٣٣، مع اختلاف فى الرواية.

(٣) «وحلمه».

(٤) يوم الرقم، لغطفان على بنى عامر، والرقم: جبال دون مكة.

(٥) لضبة وتميم على بنى عامر، والنسار: جبال صغار.

(٦) ذكره ياقوت، وقال: «وفر بسطام بن قيس الشيبانى فى هذا اليوم، فقال فيه ابن حوشب:

فَإنْ يَكُ فى يَوْمِ الغبيطِ مَلامَةٌ ... فيومُ العُظالَى كانَ أحْرَى وألْوَمَا

وَفَرُّ أبو الصهباء إذْ حمس الوَغَى ... وَألْقَى بأبْدَانِ السِلاحِ وَسَلَّمَا

[الطويل]

وأما زهدُه ﷺ، فإنه مَلَك من أقصى اليمن إلى بَحْر عُمان، إلى أقصى الحجاز، إلى عِذَار[١] العراق، ثم توفي ﷺ وعليه دَيْن، ودِرْعه[٢] مرهون في ثمن طعام أهله. لم يَبْن دارًا، ولا شيّد قصرًا، ولا غرس نخلًا، ولا شَقَّ نهرًا، ولا استنبط عينًا. واعتبرْ بُرْدَيْه اللذيْن كان يلبسهما وخاتمه.

وكان ﷺ يأكل على الأرض، ويلبس العَباءة، ويجالس الفقراء، ويمشي في الأسواق. ويتوسّد يَدَه، ولا يأكل متّكئًا، ويقتصّ من نفسه.

وكان ﷺ يقول: «إنما أنا عبد آكُلُ كما يأكل العبد، وأشرب كما يشرب، ولو أُهديت إلى ذراعٍ لأجبتُ، ولو أُهْدِي إليَّ كُراع[٣] لقبلتُ».

ولم يأكل قطّ وحدَه، ولا ضرب عبدَه، ولم يُر عليه الصلاة والسلام أدار رِجْلَه بين يدي أحَدٍ، ولا أخذ بيدِه أحدٌ فانتزع يَده من يده؛ حتى يكونَ الرجلُ هو الّذي يُرسِلها.

* * *

وأما كرمه ﷺ في فتح مكّة، وقد قتلوا أعمامَه ورجالَه وأولياءه وأنصاره، وآذَوْه وأرادوا نفسَه، فكان يتلَقّى السَّفَه بالحلم، والأذى بالاحتمال، وكان متى كان [لهم] أكرم وعنهم أصفَح كانوا ألأم وعليه ألحّ. والعجب أنهم كانوا أحلَمَ جيل إلّا فيما بينهم وبينه، فإنهم كانوا إذا ساروا إليه أفحشوا عليه، وأفرَطوا في السَّفَه، ورمَوْه بالفَرْث والدماء، وألقَوْا على طريقه الشوك، وحَثَوْا في وجهه التراب، وكان لا يتولّى هذا منه إلّا العظماء والأخوال والأعمام، والأقرب فالأقرب، فإذا كانوا كذلك كانَ أشدَّ للغيظ، وأثبَت للحِقْد؛ فلما دخل عليه السلام مكّة قام فيهم خطيبًا، فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه، ثم قال: أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لا تَثْريبَ عَلَيكُمُ اليومَ يغفرُ اللّهُ لَكُمْ وهو أرحمُ الراحمين﴾[٤].

* * *

وأما محاسن قوله فإنه ذكر زيدَ بنَ صُوحان فقال: «زيد وما زيد! يَسْبقه عضو منه إلى الجنة»، فقُطِعت يدُه يومَ نَهاوَنْد في سبيل الله[٥].

ووعد أصحَابه بيضاءَ إِصْطَخْر، وبيضاء المدائن، وقال لعديّ بن حاتم: «لا يَمنعُك ما ترى - يعني ضَعْفَ أصحابه وجَهدَهم - فكأنهم بَيْضاء المدائن قد فُتِحَتْ عليهم، وكأنهم بالظَّعِينة تخرج من

---

(١) عذار: موضع بين الكوفة والبصرة.

(٢) الدرع: ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس في الحرب، يذكر ويؤنث.

(٣) الكراع: ما دون الركبة من الساق.

(٤) سورة يوسف ٩٢.

(٥) الخبر كما في الاستيعاب ١٩٢: «روى من وجوه: أن النبي ﷺ كان في مسيرة له، فبينما هو يسير؛ إذ هوم؛ فجعل يقول: زيد، وما زيد! جندب وما جندب! فسئل عن ذلك فقال: رجلان من أمتي؛ أما أحدهما فتسبقه يده - أو قال بعض جسده - إلى الجنة يتبعه سائر جسده، وأما الآخر فيجيء يوم القيامة بحسنة يفرق بها بين الحق والباطل». قال ابن عبد البر: أصيبت يد زيد يوم جلولاء، ثم قتل مع علي رضي الله عنه يوم الجمل».

الحِيرة حتى تأتيَ مكّة بغير خفير[١]؛ فأبصر ذلك كلَّه عدِيّ[٢].

وقال لعمّار بن ياسر: «تقتلُك الفئة الباغية»، فكان كما قال؛ حتى قال معاوية: إنما قَتَله من أخْرَجَه.

وضلّت ناقته ﷺ، فأقبل يسأل عنها، فقال المنافقون: هذا محمدٌ يخبرنا عن خبر السماء، وهو لا يدرى أين ناقتُه! فصعِد المنبرَ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إنّ رجلًا يقول فى بيته: إن محمدًا يخبرنا عن خبر السماء، وهو لا يدرى أين ناقته! ألا وإنّى لا أعلمُ إلّا ما علّمنى ربّى عزّ وجلّ، وقد أخبرنى أنها فى وادى كذا وكذا، تعلّق زمامُها بشَجَرة». فبادر الناسُ إليها، وفيهم زيد بنُ أرقم وزيد بن لصيب[٣] فإذا هى كذلك[٤].

ولما استأمن أبو سفيان بنُ حرب إليه عليه الصلاة والسلام، أمر[٥] عمَّه العباسَ أن يأخذه إلى خيْمته حتى يصبح، فلما صار فى قبّة العبّاس نَدِم على ما كان منه، وقال فى نفسه: ما صنعت! دفعت بيدى هكذا؛ ألا كنتُ أجْمَعُ جمعًا من الأحابيش[٦] وكنانةَ وألقاه بهم، فلعلى كنتُ أهزمه! فناداه رسولُ الله ﷺ من خيمته: إذًا كان الله يخزيك يا أبا سفيان! فقال أبو سفيان: يا عبّاس، أدخلنى على ابن أخيك، فقال له العباس: ويلَك، يا أبا سفيان! ما آن لك ذلك! فأدخَلَه على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قد كان فى النفس شىء؛ وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنك رسول الله حقًا!

وقوله ﷺ لما يكون من بعده؛ مِمّا حدّث به محمد بن عبد الرحمن بن أُذَينة، عن سليمانَ بن قيس، عن سلمان بن عامر، عن سلْمانَ الفارسىّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى رأيت على منبرى هذا اثنىْ عشَرَ رجلًا من قريش يخطب كلّهم: رجُلان من ولد حَرْبَ بن أميّة، وعَشَرة من ولد أبى العاص بن أميّة»، ثم التفت إلى العباس، وقال: «هلاكُهم على يَدىْ ولدِك».

* * *

وأما جَمالُه وبهاؤه ومحاسنُ ولادته ﷺ، فما روى عن عثمان بن أبى العاص، قال: أخبرتْنى أمّى أنّها حضرتْ آمنةَ أمَّ النبى ﷺ لمّا ضربها المخاض، قالت: جعلتُ أنظر إلى النجوم تتدلّى حتى قلت: لتقَعنّ علىّ؛ فلما وضعتْه خرج منها نورٌ أضاء له البيت والدّار، حتى صرتُ لا أرى إلا نورًا. قالت: وسمعتُ آمنة تقول: لقد رأيت وهو فى بطنى أنّه خرج منّى نورٌ أضاءت له قصورُ الشام، ثم وُلد ﷺ، فخرج معتمدًا على يديه، رافعًا رأسه إلى السماء كأنه يخطب أو يُخاطِب.

---

(١) ك: «حقير». تصحيف، وفى الإصابة: «بغير جوار».

(٢) وانظر الخبر برواية أخرى فى الإصابة ٢: ٤٦١.

(٣) نصيب، ضبطه ابن حجر فى الإصابة، بلام مهملة ومثناة مصغرًا.

(٤) الخبر فى الإصابة ١: ٥٥٤.

(٥) ك: «أتى».

(٦) أحابيش قريش؛ سموا بذلك لأنهم تحالفوا بالله، أنهم ليد على غيرهم؛ ما سجا ليل، ووضح نهار، وما رسا حبشى. وحبشى: جبل بأسفل مكة.

ورُوى عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ أشجعَ الناس، وأحسنَ الناس، وأجودَ الناس، ما مَسَسْتُ بيدى ديباجًا ولا حريرًا ولا خَزًّا، ألْيَنَ من كفّ رسول الله ﷺ.

وعن جابر بن سَمُرَة، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ فى ليلة البدر وعليه حُلَّة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهُو أحسنُ فى عينىّ من القمر.

وعن جابر بن زيد، عن أبيه، قال: أتيت النبىّ ﷺ فى مسجد الخَيْف[1]، فناولنى يدَه، فإذا هى أطيَبُ من المِسك، وأبرد من الثَّلج.

و [من][2] فضله الّذى أبرَّ به على جميع الخلائق ومحاسنه ما رُوى عن وهب ابن منبِّه أنه قال: لمّا خلق الله عزّ وجلّ الأرض ارتجّت واضطربت، فكتب فى أطرافها: «محمدٌ رسول الله»؛ فسكنتْ.

* * *

[وأمّا][2] عقلُه عليه الصلاة والسلام، فقد رُوِى أن عقول جميع الخلائق من الأوّلين والآخرين فى جَنْب عَقْل رسولِ الله ﷺ، كرمْلة من بين جميع رمالِ الدنيا.

* * *

ومن محاسنه ﷺ الإسراء، وهو ما رُوِى عن الحسن بن أبى الحَسن البصرىّ - رحمه الله - يرفعه، قال: قال رسو ل الله ﷺ: إنّى لنائم فى الحِجْر إذ جاء جبريل عليه السلام، فغَمَزنى[4] برجله، فجلستُ فلم أر شيئًا، ثم عدتُ لمضْجَعى، فجاءنى الثانية فَغَمَزنى، فجلست وأخَذ بَعضُدى، فخرج بى إلى باب الصَّفَا، وإذا أنا بدابّة أبيضَ بين الحمار والبَغْل، له جناحان فى فخذَيْه، يضع حافَره منتهَى طَرفِه، فقال لى جبريل: اركبْ يا محمد، فدنوتُ إليه لأركب، فتنحَّى عنّى، فقال له جبريل عليه السلام: يا براقُ مالك! فوالله ما ركِبَكَ خيرٌ منه قطّ. فركبتُ وخرجتُ ومعى صاحبى لا أفوته ولا يفوتُنى؛ حتى انتهى بى إلى بيت المقدس. فوجدتُ فيه نفرًا من الأنبياء قد جُمعوا لى، فأممتهم، ثم أتيت بإناءَيْن من خَمْر ولبن فتناولتُ اللبنَ وشربتُ منه وتركت الخمرَ. فقال جبريل عليه السلام: هُدِيتَ وهُدِيَتْ أمّتُك، وحُرّمت عليهم الخمر. ثم أصبحت بمكّة. قال: فلمّا ذكر رسولُ الله ﷺ ذلك، ارتدّ كثيرٌ ممن كان آمنَ به، وقالوا: سبحان الله! أيَذهب محمدٌ إلى الشام فى ساعةٍ من الليل ثم رجع والعِير تطرِد شهرًا مدبرة وشهرًا مُقبلة! فبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه، فأقبَلَ حتّى جلس بين يدىْ رسولَ الله ﷺ. فقال: يا رسول الله، ما يقول هؤلاء! يزعمون أنّك حدّثتهم بأنّك قد أتيت الشام هذه الليلةَ ورجعتَ من ليلتِك؛ قال: قد كان ذلك؛ قال: يا رسول الله؛ فصف لى المسجد، قال: فجعلتُ أصفُه لأبى بكر وأنا أنظر إليه. فكلّمَا حدّثتُه عن شىء قال: صدقتَ. أشهد أنك رسولُ الله! حتى فرغتُ من صفته. فقال رسولُ الله ﷺ يومئذ: «فأنت الصِّديق يا أبا بكر»!

---

(١) الخيف: موضع فى منى.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) فى ابن هشام: «فهمزنى».

محاسن المعراج

عبدة بن[1] سلمان، عن سعيد بن أبي عَروبةَ[2]، عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: أخبرنا نبي الله ﷺ، قال: بينا أنا بين اليَقْظان والنائم عند البيت؛ إذْ سمعتُ قائلًا يقول: أحدُ الثلاثة بين الرجلين. فانطلق بي فشرح صدري، واستخرج قلبي، ثم أُتيتُ بِطَسْت من ذهب؛ فيه من ماء زمزم، فغُسِل به، ثم أعيدَ مكانَه، وحُشي إيمانًا وحكمة، ثم أُتيتُ بدابّة فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند أقصى طرفه، فحُمِلتُ عليه، فانطلقنا حتى أتينا السماءَ الدّنيا، فاستفتح جبريلُ، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل؛ قيل: ومَنْ معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم؛ ففَتح لنا، قالوا: مرحبًا به! ولَنِعْمَ المجيء جاء! فأُتيتُ على آدم، فقلتُ له: يا جبريل، مَنْ هذا؟ قال: هذا أبوك آدم، فسَلَّمتُ عليه، فقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبيّ الصالح! وانطلقنا حتى أتَيْنا السماءَ الثانية، فاستفتَح جبريل عليه السلام، فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريل؛ قيل ومنْ معك؟ قال: محمد؛ قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. ففتح لنا؛ وقالوا: مَرْحبًا به؛ ولنعم المجيء جاء! فأتيت على يحيى وعيسى، فقلت: يا جبريل، من هذان؟ قال: عيسى ويحيى؛ قال: فسلّمت عليهما. فقالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبيّ الصالح! ثم انطَلَقْنَا حتى أتينا السماء الثالثة؛ فكان مثل قولهم الأوّل. فأتيت على يوسفَ فسلّمتُ عليه فقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبيّ الصالح! ثم انطلقنا حتى أتَيْنا السماء الرابعة، فأتيت على إدريس عليه السلام. فسلّمت عليه، فقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبيّ الصالح! ثم أتينا السماءَ الخامسة. فأتيت على هارون، فسلّمت عليه، فقال مثل ذلك؛ ثم أتينا السماءَ السادسةَ، فأتيتُ على موسَى عليه السلام، فقال مثلَ ذلك. ثم أتينا السماء السابعةَ فأتيت على إبراهيمَ عليه وعلى آله السلام فقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبيّ الصالح! ثم رُفِع لنا البيتُ المعمور، فقلت: يا جبريل، ما هذا؟ قال: البيت المعمور، يدخله كلّ يوم سبعون ألفَ مَلَك. إذا خرجوا منه لا يعودون فيه. ثم رُفعتْ لنا سِدْرةُ المُنتهى، فإذا أربعة أنهر يخرجن من أسفلها، فقلتُ: يا جبريل، ما هذه الأنْهار؟ قال: أما النهران الظاهران؛ فالنيل والفرات. وأما الباطنان فَنْهران في الجنّة، ثم أُتيتُ بإناءَين من خمر ولبن، فاخترت اللبن، فقيل لي: أصبتَ! أصاب الله بك أمّتك على الفِطْرة. وفرضت عليَّ خمسون صلاة. فأقبلت بها حتى أتيت علىٰ موسى عليه السلام، فقال: بِمَ أُمِرْتَ؟ قلت: بخمسين صلاة كلّ يوم، قال: أمّتُك لا يطيقون ذلك؛ فإني قد بلوتُ الناس قبلك وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ المعالجَة؛ فارجع إلى ربّك عز وجلّ فاسألْه التخفيف؛ قال: فرجعتُ إلى ربّي؛ فحطَّ عني خَمسا. فأتيت على موسى عليه السلام فقال: بم أُمِرْتَ؟ فأنبأتُه بما حطَّ عني، فقال

---

(١) له «ابن أبي سليمان»، والصواب ما أثبته من ك؛ وانظر ترجمته في طبقات الحفاظ ١: ٢٨٦.

(٢) ورد الاسم في الأصلين مصحفًا، والصواب ما أثبته، وانظر ترجمته في طبقات الحفاظ ١: ١٦٧.

مثل مقالته الأولى. فما زلتُ بين يدىْ ربّى جلّ وعزّ أستحِطّ حتى رجعتْ إلى خمس صلوات فأتيت على موسى عليه السلام فقال: بمَ أُمِرْتَ؟ فقلت: بخمس صلوات كلّ يوم، قال: أمّتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربِّك جلّ ذكره واسأله التخفيف؛ فقلت: رجعت إلى ربى تبارك وتعالى حتى استَحيَيْت، لا ولكنّى أرضَى وأسلِّم، فلما جاوزتُ ناديتُ: إنى قد خفّفت عن عبادى وأمضيت فريضتى، وجعلتُ بكلّ حسنةٍ عشرًا أمثالَها.

* * *

وانظر إلى رَوْنَق ألفاظه عليه السلام وصحّةِ معانيه وموضِع ذلك من القلوب، مع قلّة تعمقه وبُعدِه عن التكلّف، كقوله ﷺ «زُوِيت لى الأرض؛ فأُريتُ مشارقَها ومغاربَها، وسيبلغ مُلك أمّتى مازُوِى لى منها»[١].

قوله: «زويت»؛ جُمِعَت.

ومثله: «إن المسجد لينزَوِى من النُّخامة كما تنزوى الجِلْدة فى النار»[٢].

ولا يكون الانزواء إلا بانحراف مع تقبّض.

وقال: «إن منبرى هذا على تُرْعة من تُرَع الجنّة[٣].

وهى لروضة تكون فى المكان المرتفع».

وقال: «إنّ قريشًا قالت: إنى صُنبور»[٤]. وهى النخلة تبقَى منفردة ويَدِقّ أصلُها، تقول: إنه فَرْدٌ ليس له ولد، فإذا مات انقطع ذكره.

وقال فى أبى بكر رضى الله عنه: «ما أحدٌ من الناس عرضتُ عليه الإسلام إلّا كانت له كَبْوة غير أبى بكر فإنه لم يتلعْثَم»[٥]. أى لَم ينتَظر ولَمْ يكُث، والكَبْوَة مِثلُ الوقعة.

وقال فى عمر رحمه الله: «لم أر عبْقريًّا يَفْرِى فَرِيَّهُ»[٦]. والعبقرىّ: السيّد، يقال: هذا عبقرىّ قومه؛ أى سيّدهم. ويفرى فريّه، أى يَعمَل عملَه.

وقال فى علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه: «إن لك بيتًا فى الجنة، وإنك ذو قَرْنَيْها». يريد أنه ذو طرْفَيْها.

وقال فى الحسين بن علىّ رحمهما الله، حين بالَ عليه وهو طفل، فأُخِذ من حِجْره: «لاتُزْرِمُوا ابنى»[٧].

---

(١) ابن ماجة ٢: ١٣٠٤، واللسان ١٩: ٨٣، والنهاية ٢: ١٣٥ مع اختلاف فى الروايات.

(٢) النهاية فى: ١٣٥، وقال فى شرحه: «أى ينضم وينقبض، وقيل أهل المسجد وهم الملائكة».

(٣) النهاية ١: ١١٣، ونقل عن ابن قتيبة: «معناه أن الصلاة والذكر فى هذا الموضوع يؤديان إلى الجنة؛ فكأنه قطعة منها».

(٤) النهاية ٣: ٢، وقال فى شرحه: «وأصل الصنبور سعفة تنبت فى جذع النخلة لا فى الأرض. وقيل: وهى النخلة المنفردة التى يدق أسفلها، أرادوا أنه إذا قلع انقطع ذكره، كما يذهب أثر الصنبور لأنه لا عقب له».

(٥) النهاية ٤: ٦.

(٦) النهاية ٣: ١٩٩؛ قال، ويروى: «فريه» بسكون الراء والتخفيف.

(٧) النهاية ٢: ١٢٤.

الإزرام: القَطْع، يقال للرجل يقطع بوله: أَزْرَم.

وقال فى الأنصار: «إنهم كَرِشى وعَيْبتى، ولولا الهجرة لكنتُ أمرءًا منهم»[١].

أى من الأنصار. الكَرِش: الجماعة. والعيبة، أى هُم موضع سِرِّى، ومنه أخِذت العَيْبة.

وقال ﷺ: «لعن الله النامصة والمتنمِّصة، والواشِرَة والمُوتَشِرَة، والواصِلَة والمستوصلة[٢]، والواشِمة والموتشمة»[٣].

فالنامصة: التى تنتف الشعر من الوجه، ومنه قيل للمِنقاش: المنماص. والمتنمِّصَة التى يُفعل بها ذلك. والواشرة: التى تشر أسنانَها، وذلك أنّها تفلِّجها. وتحدِّدها حتى يكون لها أُشُر؛ والأُشُر: تحدُّدٌ ورِقّة فى أطراف الأسنان. [والموتشرة: التى تأمر من يفعل بها ذلك]، والواصلة: التى تصل شعرَها بشعر غيرها والمستوصلة: التى تأمر من يفعل بها ذلك[٤]. والواشمة: المرأة تَغرز ظهرَ كفِّها ومِعْصمِها بإبرة حتى تؤثر فيه، وتحشُوه بالكُحْل. [والموتشمة التى يفعل بها ذلك][٤]

وذكر أيام التشريق فقال: «هى أيَّامُ أَكْل وشُرْب وبعال»[٥]. يعنى النكاح.

وقال: «يُحْشَر الناس يومَ القيامة حُفاةً بُهْمًا»[٦].

وهو البهيم الذى لا يخالط لَوْنَهُ لونٌ سواه، من سواد كان أو غيره، يقول: ليس فيهم شىء من الأمراض والعاهات التى تكون فى الدنيا.

وقال فى صُلْح الحديبية: لا إغلال ولا إسلال»[٧]

والإسلال: السّرقة، والإغلال: الخيانة.

وقال: «اللهمّ إنى أعوذ بك من وَعثاء السَّفَر وكآبة المنقلَب، والحَوْر بعد الكَوْر» - الحوب[٨] إذا كان بالباء، والكَوْنُ إذا كان بالنون، تقول: يكون فى حالة جميلة فيرجع عنها، وإذا كان جميعًا بالراء فهو النُّقصان بعد الزيادة[٩].

وقال ﷺ: «خمِّروا آنِيَتكم، وأَوْكُوا أسقيتكم، وأَجِيفوا الأبواب[١٠]. وأطفئوا المَصابيح، واكْفِتُوا صِبْيانكم، فإن للشيطان انتشارًا وخَطْفة»، يعنى بالليل.

التخمير: التغطية. والإيكاء: الشَّدُّ، واسم الخَيْط الذى يُشَدّ به السِّقاء الوِكاء. واكْفِتُوا: يعنى ضُمُّوهم إليكم.

---

(١) النهاية ٣: ١٤٢، ٤: ١٥.
(٢) كذا فى النهاية واللسان.
(٣) النهاية ٤: ١٧٧، ٢١٢، ٢١٤.
(٤) تكملة من النهاية واللسان.
(٥) النهاية ١: ٨٦.
(٦) النهاية ١: ١٠١.
(٧) النهاية ٣: ١٦٨. وقال: «وقيل: الإغلال لبس الدروع والإسلال: سل السيوف».
(٨) النهاية ١: ٢٦٩.
(٩) قال فى النهاية: «وأصله من نقض العمامة بعد لفها».
(١٠) النهاية ١: ٣٢٠، ٤: ٢٥، ٢٢٩.

وقال فى دعائه: «لا ينفع ذا الجَدّ منك الجَدّ»[١].

الجَدّ بفتح الجيم: الغنى والحظّ فى الرزق، ومنه قيل: لفلان فى هذا الأمر جَدٌّ، إذا كان مرزوقا.

وقال: «إن رُوح القُدُس نَفَث فى رُوعِى؛ أنّ نفْسًا لا تموتُ حتى تستوفَى - أو تستكملَ - رزقَهَا، فاتّقوا الله وأجملوا فى الطَّلَب»[٢].

قوله: «نفثَ فى رُوعى»، بضم الراء؛ النَّفْث شبيه بالنَّفْخ. ورُوعى، يقول: فى خَلَدِى.

وقال ﷺ: «صُومُوا لرؤيته، وأفْطِروا لرؤيته، فإن حال بينَكم[٣] وبينَه سحابٌ أو ظُلمةٌ أو هَبْوَة، فأكمِلوا العدّة»[٤].

هَبْوة، يعنى غُبْرة.

وقال ﷺ: «إن العرش على مَنكبِ إسرافيل، وإنه ليتواضع لله جلّ وعزّ حتى يصير مثل الوَصَع»[٥].

الوَصَع: ولد العصافير[٦].

وقال ﷺ حين سئل: أين كان ربُّنا جلّ جلاله قبل أن يَخلُقَ السموات والأرَضين؟ فقال: «كان فى عماءٍ تحته هواء»[٧].

العَماء: السحاب.

وقال ﷺ: «عمُّ الرجلِ صِنْوُ أبيه[٨]».

يعنى أنّ أصلَهما واحد، وأصل الصِّنْو إنما هو فى النَّخْل، قال الله عز وجلّ: ﴿صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوانٍ﴾[٩]، الصنوان المجتمِع، وغير الصنوان المتفرِّق.

وقال: «مَن تعلّم القرآن ثم نَسِيه لقى الله عزّ وجلّ وهو أجذَم»[١٠]. أى مقطوعُ اليد.

وقال لرجل أتاه، وقال: يا رسول الله، أيُدالك الرجلُ امرأتَهُ بَعْرِها؟ قال: لا، إلّا أن يكون مُلْفَجًا»[١١]؛ فقال له أبو بكر رضى الله عنه: بأبى وأمّى أنت يا رسول الله! إنما نشأتَ فيما بيننا، ونحن قد سافرْنا وأنت مقيم، فنراك تتكلّم بكلام لا نعرفه ولا نفهمه! فقال صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم «إنّ الله جلّ وعزّ أدّبنى وأحسنَ أدبى، وهذا الرجل كلّمنى بكلامه فأجبتهُ على حَسَبِه».

قال: أيُدالِك الرجل امرأتَه بَعْرِها، أى يُماطِلُها. فقلت: لا، إلّا أن يكون مُلْفَجًا، أى مُعْدِمًا.

* * *

(١) النهاية ١: ٢٧٤، وقال فى معناه: «لا ينفع ذا الغنى منك غناه، وإنما ينفعه الإيمان والطاعة».
(٢) النهاية ٤: ١٦٠.
(٣) فى الأصلين «بينك»، والصواب ما أثبته من نهاية ابن الأثير.
(٤) النهاية ٤: ٢٣٨.
(٥) النهاية ٤: ٢١٦.
(٦) النهاية: هو طائر أصغر من العصفور، والجمع صيعان.
(٧) النهاية ٣: ١٣٠.
(٨) النهاية ٣: ٣.
(٩) سورة الرعد ٤.
(١٠) النهاية ١: ١٥١.
(١١) النهاية ٢: ٢٩، ٤: ٦٢.

فكلامه ﷺ وأخلاقه ومذاهبُه، تدلّ على أنه موافق لقول الله جلّ وعز: ﴿الله أَعْلَمُ حيثُ يجعلُ رسالتَهُ﴾[١]. ولقوله: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٢]. وقال جلّ ذكره: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٣]، فلمّا علم أنه قد قبل أدبه قال: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]، فلمّا استحكم له ما أحَبَّ قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرسولُ فخُذُوهُ وَمَا نهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٥].

(١) سورة الأنعام ١٢٤.
(٢) سورة الدخان ٣٢.
(٣) سورة الأعراف ١٩٩.
(٤) القلم ٤.
(٥) سورة الحشر ٧.

مساوئ من تنبّأ

رُوِىَ أنَّ مُسَيْلمةَ بنَ حبيب الكذّاب، كَتب إلى رسول الله ﷺ، وذلك فى آخر سنة عَشْر: «منْ مُسَيْلِمةَ رسول الله إلى محمد رسول الله أمّا بعدُ، فإنّى قد شُوركتُ[1] فى الأمر معك، وإنّ لنا نصفَ الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكنَّ قريشًا قوم يعتدُون». فقدِم عليه رسولان من قِبَل مُسَيْلَمةَ بهذا الكتاب، فقال: «أما والله لولا أن الرسل لا يُقتَلون لضربتُ أعناقَكما»[2]. ثم كتب: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمةَ الكذّاب؛ السَّلام[3] على من اتّبع الهدى. أما بعدُ، فإنّ الأرض لله يُورِثها مِن عباده من يشاءُ والعاقبة للمتقين»[4].

قيل: وأتاه الأحنف بن قيس مع عمّه، فلمّا خرجا من عندِه، قال الأحنف لعمّه: كيف رأيته؟ قال: ليس بمتنبِّىء صادق، ولا بكذّابٍ حاذق.

* * *

ومنهم طُليحة، تنبّأ على عهد رسول الله ﷺ، وكان يقول: إنّ ذا النُّون[5] يأتيه، فقال النبىّ ﷺ: لقد ذكر مَلَكا عظيمًا، فلمّا كان أيّام الرِّدَّة بعث أبو بكر - رحمة الله عليه - خالد بنَ الوليد إليه، فلما انتهى إلى عسكره[6] وجده قد ضرِبتْ له قُبَّةٌ مِن أَدَم، وأصحابُه حولَه، فقال: لِيخرجْ إلىَّ طُلَيحة، فقالوا: لا تُصغِّر نبيًّا هو طَلْحة. فخرج إليه، فقال خالد: إن مِنْ عَهْدِ خليفتِنا أن يَدْعُوَك إلى الله وحدَه لا شريك لَهُ وأن محمدًا عبدُه ورسولُه. فقال: يا خالد، أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنّى رسول الله! فلمّا سمع خالد ذلك انصرفَ عنه، وعسْكَرَ بالقرب منه على مِيل.

فقال عُيينة بن حصن لطليحة: لا أبالَك! هل أنت مُرينَا بعض نبوَّتك؟ قال: نعم، وكان قد بعث عيونًا له حين سار خالد من المدينة مُقْبلًا إليهم، فعرَّفوه خبرَ خالد، فقال: «لئن بعثتم فارسَيْن، على فرسَين أغرَّيْن محجَّلَين، من بنى نصر بن قُعين، أتَوْكُم من القوم بعَيْن». فَهيَّئوا فارسين فبعثوهما، فخرجا يركُضان، فلقيا عَيْنًا لخالِد مُقْبلا إليهم، فقالا[7]: ما خبر خالد؟ أو قالا: ما وراءَك؟ قال: هذا خالد بنُ الوليد فى المسلمين قد أقبل، فزادهم فتنةً وقال: ألم أقل لكم! فلمّا كان فى السَّحَر نَهَض

---

(١) الطبرى: «أشركت».

(٢) فى إحدى روايات الطبرى عن نعيم: «سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتاب مسيلمة: فما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال. فقال: أما والله» وساق بقية الخبر.

(٣) الطبرى: «سلام».

(٤) الخبر فى تاريخ الطبرى ٣: ١٦٦، ١٦٧، وهو أيضًا فى ابن الأثير ٢: ٢٠٤، ٢٠٥، وذكر بعده: «وقيل أن دعوى مسيلمة وغيره النبوة كانت بعد حجة الوداع ومرضته التى مات فيها، فلما سمع الناس بمرضه وثب الأسود العنسى باليمن، ومسيلمة باليمامة، وطليحة فى بنى أسد».

(٥) ابن الأثير: «جبريل».

(٦) ل: «مسكنه».

(٧) فى ك، ل: «وقالا».

خالِد إلى طليحة فيمن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما التقَى الصَّفَّان تَزَمَّل[١] طليحةُ فى كِساء له ينتظر زَعْم الوَحْى، فلما طال ذاك على أصحابه، وألحَّ عليهم المسلمون بالسيف، قال عيينةُ بن حِصْن: هل أتاك بعد[٢] قال طليحةَ مِن تحت الكساء: لا، والله ما جاء بعد، فقال عُيينة: تبًّا لك آخر الدهر! ثم جذبه جَذبةً جاش[٣] منها، وقال: قبّحَ الله هذه مِن نبوّة! فجلس طليحة، فقال له عيينة: ما قيل لك؟ قال قيل لى: «إن لك رَحًا كرحاه، وأمْرًا لا تَنْساه»؛ فقال عُيينة: قال علم الله جلّ وعزّ أن سيكونُ لك أمرٌ لا تَنْساه؛ هذا كذّاب ما بورِك لنا ولا لَه فيها يطالب. ثم هرب عيينةُ وأخوه فأدركوه وأسَروهُ، وأفلت أخوه، وخرج طُلَيْحة منهزمًا، وأسلمه شيطانُه حتّى قدِم الشام، فأقام عند بنى جَفْنة الغسَّانيين حتى فتح الله عزّ وجلّ أجْنادِين[٤] وتوفى أبو بكر وأسلم طُلَيحة إسلامًا صحيحًا، وقال:

وإنِّى من بَعد الضلالـة شاهـدٌ شهادةَ حقٍّ لستُ فيها بمُلْحِدِ[٥]

[الطويل]

ومنهم من تنبَّأ بعدُ فى أيام الرشيد، رجل زعم أنّه نوح، فقيل له: أنت نوح الذى كان، أم نوح آخر؟ قال: أنا نوحٌ الّذى لَبِثَ فى قومه ألفَ سنة إلّا خمسين عامًا، وقد بُعِثتُ إليكم لأُفَى الخمسين عاما، تمامَ الألف سنة. فأمر الرشيد بضَربه وصَلبه، فمرَّ به بعض المخنَّثين وهو مصلوبٌ، فقال صلى الله عليك: يا أبانا! ما حصَل فى يَدِك من سفينتك إلّا دَقَلُها! وهو الذى يكون فى وسط السفينة كجِذْع طويل[٦].

* * *

ومنهم رجل تنبّأ فى أيام المأمون، فقال للحاجب: أبلغ أميرَ المؤمنين أن[٧] نبىّ الله بالباب. فأذن له، فقال ثُمامة: ما دليل نبوّتك؟ قال: تحْضر لى أمَّك فأواقعها[٨] فتحمِل من ساعتها، وتأتى بغلام مثلك. فقال ثمامة: صلّى الله عليك أيّها النبى ورحمة الله وبركاته[٩]، أهْونُ علىّ من إحضارك أمِّى ومواقعتِها[١٠].

---

(١) تزمل: تلفف.

(٢) الطبرى: «هل أتاك جبريل بعد».

(٣) جاش: هاج واضطرب.

(٤) أجنادين: موقع بالشام من نواحى فلسطين؛ كانت به الوقعة المشهورة بين المسلمين والروم؛ قال ياقوت: «وكانت لاثنى عشر ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، قبل وفاة أبى بكر رضى الله عنه بنحو شهر».

(٥) انظر تاريخ الطبرى٣: ٢٢٧، وتاريخ ابن الأثير ٢: ٢٣٢.

(٦) العقد لابن عبد ربه ٦: ١٤٧.

(٧) ك: «أنى».

(٨) فى العقد: «تحضر لى يااثمامة امرأتك أنكحها بين يديك فتلد غلامًا ينطق فى المهد يخبر أنك نبى».

(٩) العقد: «فقال ثمامة: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله، فقال المأمون: ما أسرع ما آمنت به! قال: وأنت يا أمير المؤمنين، ما أهون عليك أن تتناول امرأتى على فراشك!».

(١٠) العقد ٦: ١٤٨.

محاسن أبي بكر الصّديق
رضوان الله عليه ورحمته

رُوِى عن ابن عمر رضى الله عنهما؛ قال: دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المسجدَ، وأبو بكر عن يمينه وعمرُ عن شِمَاله، فقال: «هكذا نبعثُ يوم القيامة».

وقال ﷺ: «إنَّ الله تبارك وتعالى أيّدنى من أهل السماء بجبريل وميكائيل، ومن أهل الأرض بأبى بكر وعمر»، ورآهما مقبلين فقال: «هذان السمعُ والبصر».

ورُوِى عن ابن عمرَ رضى الله عنهما أنه قال: لو وُزن إيمانُ أبى بكر بإيمان أهلِ الأرض لرَجح بهم.

ورُوِى عن عمر رضى الله عنه أنه قال: أمر رسولُ الله ﷺ بالصَّدقة، ووافق ذلك مالاً عندى، فقلت: اليومَ أسبقُ أبا بكر إن سبقتُه، فجئتُه بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ «ما أبقيتَ لأهلك؟» قلت: النِّصف. وجاء أبو بكر بكلِّ مالِه، فقال له النبىُّ ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: الله حَقًّا ورسولَه؛ فقلت: والله لا أسبِقُك إلى شىءٍ أبدًا.

وعن عمرَ رضى الله عنه أنه قال: «وددت أنى شَعرَةٌ فى صَدْر أبى بكر» رضى الله عنه.

وعن عطاء، عن أبى الدَّرداء، أنّه مشى بين يدىْ أبى بكر رضى الله عنه، فقال له رسول الله ﷺ: «أتمشى[1] بين يدىْ من هو خيرٌ منك؟ ما طلعت الشمس ولا غَرَبَتْ بعد النبيِّين والمرسلين على أحدٍ أفضلَ من أبى بكر»[2].

وعن علّى بن أبى طالب رضوان الله ورحمتُه عليه، قال: قال النبىّ ﷺ: «يا علىّ، هل تحبُّ الشَّيْخَيْن؟»، قلت: نعم يا رسولَ الله، قال «لا يجتمع حُبُّك وحبُّهما إلّا فى قلب مؤمن».

وعن أبى أُمامة الباهلىّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا بكر! زَوَّجنى ابنته، وحَملنى إلى دار الهجرة، وعتق بلالاً من مالِه».

وعن أنس، عن أبى بكر رضى الله عنه، قال: قلت للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم ونحن فى الغار: لو أنَّ أحَدَهم نظر فى قَدَميْه لأبصرَنا! فقال: «يا أبا بكر، ما ظَنُّك، باثنين، الله جلّ وعزّ ثالثهما!».

وعن أبى سعيد الخُدْرىّ رضى الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله فى مرضه الذى مات فيه، وهو عاصبٌ رأسه حتى صَعد المنبر فقال: «إنى قائمٌ الساعة على الحوض، وإنَّ عبدًا عُرِضت عليه

---

(١) ط: «المشى»: تحريف.

(٢) الحديث فى الرياض النضرة ١: ٩١، مع اختلاف فى الرواية.

الدُّنْيا وزينتها، فاختار الآخرة». فلم يفطن لها أحدٌ إلا أبو بكر رضى الله عنه، فقال: بأبى أنت وأمىّ! بل نفديك بآبائنا وأبنائنا، وأنفسنا وأموالِنا! وبكى، فقال: «لا تبْك يا أبا بكر، إنَّ من آمَنِ الناسِ علىّ فى صُحبته ومالِه أبا بكر، ولو كنتُ متَّخِذًا خليلًا من الناس لاتَّخذتُ أبا بكر، ولكن أخى فى الإسلام، لا يبقى فى المسجد بابٌ إلّا باب أبى بكر». فبكى أبو بكر وقال: أنا ومالى لك يا رسول الله.

وعن أبى المنكدِر، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم «دعوا لى صاحبى! إنى بُعثتُ وقال الناس كلّهم: كذبت، وقال لى: صدقتَ» يعْنى أبا بكر رضى الله عنه.

وعن محمد بن عُبيد، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن أبى حَازم، قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بنَ العاص فى غزوةِ ذاتِ السَّلاسل[١]، فجاء وقد ظهر، فقال: يا رسول الله أىُّ الناس أحَبُّ إليكَ؟ قال: «عائشة»، قال: لستُ أسألُكَ عن النساء. قال: «إذًا أبوها، أبو بكر».

وعن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «يجىء يومَ القيامة رجلٌ إلى باب الجنّة، ليس منها باب إلّا وعليه مَلَك يهتِف به: هلُمَّ هلُمَّ ادخُل! فقال أبو بكر رضى الله عنه: إنَّ هذا لسعيد، قال: «هو ابن أبى قحافة».

وعن سليمان بنِ يَسار، إنّ رسول الله ﷺ، قال: «فى المؤمن ثلاثمائة وستّون خَصْلةً من الخير، إذا جاء بواحدةٍ دخل الجنة» قال أبو بكر رضى الله عنه: بأبى أنت وأمىّ! أفِىّ منها شىء؟ قال: «هى كلها فيك يا أبا بكر».

وعن ابن عمرَ رضى الله عنه، قال: بينا النبىُّ ﷺ جالس وعنده أبو بكر رضى الله عنه، وعليه عَباءة قد خَلَّها[٢] فى صدره بخِلال، إذ نزل عليه جبريلُ عليه السلام فقال: يا رسول الله، مالى أرى أبا بكر عليه عباءةً قد خَلَّها فى صدره؟ قال: أنفَقَ ماله علىّ قبل الفَتْح»، قال: فأقرِئه من الله عزّ وجلّ السلام وقل له: يقول لك ربُّك تبارك وتعالى: «أراض أنت عنّى فى فقرك أم ساخط؟»، فقال أبو بكر: أعلَى رَبِّى أغضَب! أنا عن ربّى راضٍ[٣].

وعن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: كنتُ جالسًا عند النبى ﷺ، إذ طلع أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، فقال ﷺ: «وهذان سيّدَا كُهول أهل الجنة من الأوّلين والآخِرين، ممَن مضى، وممَن بقى، إلّا النبيّين والمرسلين. لا تُخْبِرهما ياعلىّ».

وعن جابر، قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ،فسمعته يقول: «يطلع علينا من هذا الفَجّ[٤] رجل من أهل الجنة»، فطلع أبو بكر رضى الله عنه، ثم قال: «يَطلُعُ علينا من هذا الفَجّ رجل من أهل

---

(١) السلاسل: ماء بأرض جذام؛ وبه سميت الغزوة، كانت سنة ثمان. ابن الأثير ١: ١٥٦.
(٢) ك: «خللها».
(٣) الرياض النضرة ١: ١٣٤.
(٤) الفج: الطريق الواسع بين جبلين.

الجنّة»، فطلع عمر رضى الله عنه، ثم قال: «يَطلُعُ علينا من هذا الفَجّ رجل من أهل الجنّة، اللهم اجعله عليًّا»، فطلع عليٌّ رضى الله عنه.

وعن ابن عبّاس، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، ما أحسن هذه الآية؟ قال: أيّتها؟ قال: قوله تبارك وتعالى: ﴿يأيَّتها النفس المطمئنة، ارْجِعى إلَى ربِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فادْخلِي فى عبادِى، وَادْخُلِي جَنَّتِى﴾[1]. فقال يا أبا بكر، إن الملك سيقولُها لك.

وقيل: إنّه لَمّا أسلم أبو قُحافة، لم يعلم أبو بكر رضى الله عنه بإسلامه حتى دخل على النبىّ ﷺ، فقال: ألا أبشِّرُك يا أبا بكر بما يسرّك؟»، قال: مثلك يا رسول الله من يُبشر بالخير، فما هى؟ قال: «أسلم أبو قحافة»، قال: يا رسول الله، لو بشّرتَنى بإسلام أبى طالب كان أقَرَّ لعينى فإنه أقرُّ لعينك! فبكى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم حتى علا بكاؤه جزعًا لما فاته من إسلام أبى طالب، وقال: «رحمك الله يا أبا بكر!» ثلاثًا.

---

(١) سورة الفجر ٢٧ - ٣٠.

محاسن عمر بن الخطاب
رضوان الله عليه ورحمته

عن أبي هريْرة رحمه الله، قال: قال النبى صلّى الله عليه وسلم: «بيْنا أنا نائمٌ، إذ رأيتُنى على قليب[1]، وعليها دَلْو، فنزعتُ ما شاء الله، ثم أخذها منّى أبو بكر - أو قال ابنُ أبى قحافة - فنزع منها ذَنُوبًا[2] أو ذنوبين، وفى نزعه ضعْف، والله جلّ وعَزَّ يغفر له، ثم أخذها عمر فلم أر عبقريًّا من الناس يفرى فريه[3] حتى ضَرَب الناس بِعَطن»[4].

وروى أن امرأةً فى الجاهلية تسمّى عاصية أسلمتْ فكرهت اسمَها، فأتت عمر رحمه الله، فقال: إنّى كرهت اسمى، فَسَمِّنى، فقال: أنت جميلة، فغضبت وقالت: سميتنى باسم الإماء! ثم أتت رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فقالت: بأبى أنتَ وأمى! إنّى كرهتُ اسمى، فسمِّنى فقال: «أنت جميلة» فقالت: يا رسول الله، إنى أتيت عمر فسمانى جميلة، فغضبت، فقال: «أو علمتِ أن الله جلّ وعزّ عند لسان عمرَ ويده!».

وعن سعيد بن جبير فى قوله عزّ وجلّ: ﴿وصالحُ المؤمنينَ﴾[5] قال: نزلت فى عمرَ خاصّة.

وعن علىّ رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «رحم الله عمر! يقول الحقَّ وإن كان مُرًّا؛ تركَه الحقُّ ما له من صديق!».

وعن سعيد بن جُبير، قال: إنَّ جبريلَ عليه السلام قال للنبى ﷺ: اقرأ على عمرَ السلام، وأعْلِمْه أنَّ غضبَه عِزٌّ، ورضاه حكم.

وعن عثمان بن مَظْعون: مَرّ بنا عمرُ رضى الله عنه ونحن جلوسٌ عند النبى ﷺ، فقال: «هذا أغلَق بابَ الفِتنة، لا يزال بينَكم وبين الفتنة بابٌ ما عاش هذا بين أظهرِكم - أو ظهرانيكم» فقال بيمينه، وشَبك بين أصابعه.

وعن ابن عبّاس، عن النبى ﷺ، قال: «جاءنى جبريلُ حين أسلَمَ عمرُ فقال لى: تباشرتِ الملائكة بإسلام عمر، وعمرُ سراجُ أهل الجنّة».

وعن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا فى الجنّة إذ رأيتُ دارًا، فأردتُ أن أدخُلَها، فسألت لمن هى؟ فقيل: هى لعمر بن الخطّاب، فذكرت غَيْرتَه فرجعتُ»، فقال

---

(١) القليب: البئر العادية القديمة.

(٢) الذنوب: الدلو، تذكر وتؤنث.

(٣) يقال: هو يفرى الفرى، أى يأتى بالأمر العجب.

(٤) ضرب الناس بعطن، أى أرووا إبلهم، ثم أووها إلى عطنها، والحديث فى صحيح مسلم ٤: ١٨٦٠.

(٥) سورة التحريم ٤.

عمر: يارسول الله، لست ممن يغار عليه[١].

وعن عليّ رضى الله عنه؛ ما كنا نُبعد أنّ السكينة كانت تنطق إلى لسان عمر[٢].

وعن عطاء، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ من سُلالةٍ مِن طِين، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطفةً فى قَرَارٍ مكين﴾، إلى قوله: ﴿ثم أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، فقال عمر: ﴿تبارك الله أحسنُ الخالقينَ﴾[٣]. فَقال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيدِهِ لقد ختمها الله عزّ وجلّ بما قلتَ يا عمر».

وعن سعد بن أبى وقاص رحمه الله، قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ، وعنده نسوةٌ من قريش قد علت أصواتُهنّ، فأذن له، فلمّا دخل بادَرْن الحجاب، فضحك رسول الله ﷺ، فقال عمر: أضحك الله سِنَّك، بأبى أنت وأمّى! مِمّ ضحكتَ؟ فقال: «أعجب من اللّواتى كنَّ عندى لمّا سمعن صوتَك بادرن الحجاب»، فقال: أنت كنت أحقُّ أن يَهَبْن يا رسول الله! ثم أقبل عليهنّ، وأغلظَ لهنّ، وقال: اتهَبْنَنى ولا تَهَبْن رسولَ الله، ﷺ! قلن: نعم، إنك أفظّ وأغلظ، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر، والذى نفسى بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فَجًّا إلاّ سَلَك فَجًّا غير فَجِّك».

---

(١) الحديث فى صحيح مسلم ٤: ١٨٢٢، وفيه: «أو عليك يغار!».

(٢) النهاية لابن الأثير ٢: ١٧٢.

(٣) سورة المؤمنون ١٢ - ١٤.

محَاسن عثمان بن عفان
رضى الله عنه ورحمه

عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ فى حائط من حيطان المدينة، فجاء أبو بكر رحمه الله، فقال: افتح له، وبشره بالجنّة، ثم جاء عمر رحمه الله، فقال: افتح له وبشّره بالجنة، ثم جاء علىٌّ رضوان الله عليه فقال: افتح له وبشره بالجنّة. فلما جاء عثمانُ رحمه الله ورحمهم أجمعين، وقد بدت من فَخِذ رسولِ الله ﷺ ناحية، فقال: افتح له وبشّره بالجنة، وغَطّاها، فقالوا: يا رسول الله، مالك لم تُغَطِّها حين جِئنَا؟ فقال: «ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة»!

وعن النبى ﷺ: «إن الله جل وعزّ أمرنى أن أزوِّج كريمتىّ عثمان بن عفّان» رحمه الله.

محاسن عَلِيّ بن أبي طَالب
رضوان الله عليه ورحمته

عن أبي حيان التّيميّ[1]، عن أبيه، عن على بن أبي طالب رحمه الله، قال: قال: النبى ﷺ: «رحم الله عليًّا! اللهمّ أدِرِ الحقَّ معه حيث دار».

وعن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر قريش، والله لَيَبْعَثَنَّ الله عليكم رجلًا منكم، قد امتحن الله قلبه للإيمان، يضرب رقابَكم على الدين»، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، فقال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكنّه خاصفُ النّعل»، وأنا أخصِف نعلَ رسول الله ﷺ.

وعن جابر قال: قال قال رسول الله ﷺ لعليّ: «هذا وليُّكم بعدى إذا كانت فتنة».

وعن مصعب، عن أبيه، قال: سمعت النبّيّ ﷺ يقول: «ما لكم ولعليّ[2]! منْ آذى عليًّا فقد آذانى».

وعن عليّ رضى الله عنه، قال: هلك فيَّ رجلان: عدوّ مبغض، ومحبّ مفرط. وقال: لَيُحبُّنى أقوام حتى يُدخلَهم حبِّى النار، ويُبغِضنى أقوام حتى يدخلهم بغضى النار، هم الرافضة[3] والناصبة[4].

وعن أمّ سَلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: لا يحبّ عليًّا منافق، ولا يُبغض عليًّا مؤمن».

وعن عمرو[5] بن الأصمّ قال: قلت للحسن بن عليّ رضوان الله عليهما: هؤلاء الشيعة يزعمون أن عليًّا مبعوث الآن، قال: كَذَبوا، والله ما أولئك بشيعة! ولو كانوا كما يقولون ما أنكحنا نساءَه، ولا قسمنا ميراثه.

وعن فاطمة رضى الله عنها قالت: دخل عليَّ عليٌّ، وأنا عند النبى ﷺ، فقال: «أبشرْ يا أبا الحسن، أما إنّك فى الجنة، وإن قومًا يزعمون أنهم يحبُّونك، يرفضون الإسلام، يمرُقون منه كما يَمْرُق السهم من الرميّة، لهم نَبَزٌ[6] يقال لهم الرافضة، فإن أدركتَهم فقاتلهم فإنهم مشركون».

---

(١) فى ك، ل: «التيمى»، والصواب ما أثبت؛ وهو يحيى بن سعيد بن حيان الكوفى، وانظر تهذيب التهذيب ١١: ٢١٤.

(٢) ل: «ولى».

(٣) الرافضة: قوم من الشيعة، سموا بذلك لأنهم تركوا زيد بن على. قال الأصمعى: كانوا يايعوه ثم قالوا له: ابرأ من الشيخين نقاتل معك، فأبى وقال: كانا وزيرا جدى، فلا أبرأ منهما، فرفضوه ورفضوا عنه. فسمّوا رافضة اللسان - رفض.

(٤) الناصبة: قوم كانوا يتدينون بعداوة على. اللسان - نصب.

(٥) ل: «عمر».

(٦) فى حاشية ل: «لقب».

قال: وحدثا رجل حضر مجلس القاسم بن المجمّع، وهو والى الأهواز، قال: حضر مجلسَه رجلٌ من بنى هاشم، فقال: أصلح الله الأمير! ألا أُحَدِّثكم[١] بفضيلةٍ لأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه! قال: نعم إن شئت، قال: حَدّثنى أبى، قال: حضرت مجلسَ محمد بن عائشة بالبصرة، إذ قام إليه رجل من وسطَ الحَلْقة، فقال: يا أبا عبدالرحمن، مَنْ أفضلُ أصحابِ رسول الله ﷺ؟ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة، بن الجراح فقال له: فأين علىّ بن أبى طالب؟ قال: يا هذا، تستفتى[٢] عن أصحابه أم[٣] عن نفسه؟ قال: بَلْ عن أصحابه. قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[٤]، فكيف يكون أصحابُه مِثلَ نفسه!

وعن عطاء، قال: كان لعلىّ رحمه الله موقفٌ من رسول الله ﷺ يوم الجمعة، إذا خرج أخذ بيده فلا يخطو خُطوةً إلا قال: «اللهمّ هذا علىّ اتّبع مَرْضاتَك، فارْض عنه»، حتى يصعد المنبر.

وحدثنا إبراهيم بن أحمد الغضايرىّ[٥] بإسناد يرفعه إلى أبى مالك الأشجعىّ، أنّ النبىّ ﷺ قال: «هبط علىّ جبريلُ يوم حُنَين فقال: يا محمدُ، إنّ ربك تبارك وتعالى يُقرئك السلام، وقال: ادفعْ هذه الأترُجّة إلى ابن عمِّك ووصيِّك علىِّ بن أبى طالب؛ فدفعتها إليه، فوضعتُها فى كفّه، فانفلقت بنصفين، فخرج منها رَقّ أبيض مكتوب فيه: «مِن الطالب الغالب، إلى علىّ بن أبى طالب».

أبو عثمان قاضى الرَّىّ، عن الأعمش، عن سعيد بن جُبير، قال: كان عبد الله بن عباس بمكّة يحدِّث على سَفير زمزم ونحن عنده، فلما قضى حديثَه قام إليه رجل فقال: يابن عباس، إنى امرؤٌ من أهل الشام؛ من أهل حِمْص، إنهم يتبرءونَ من علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ويعلنونه! فقال: بل لعنهم الله فى الدّنيا والآخرة، وأعدّ لهم عذابًا مهينا! أَلِبُعْدِ قرابته من رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وأنّه لم يكن أوّلَ ذُكران العالمين إيمانًا بالله ورسوله، وأوّل مَنْ صلّى وركع وعمل بأعمال البرِّ! قال الشامى: إنّهم والله ما ينكرون قرابته وسابقتَه؛ غيرَ أنّهم يزعمون أنه قتَلَ الناس. فقال ابنُ عباس: ثَكِلَتْهم أمّهاتُهم! أنّ علىًّا أعرفُ بالله عَزّ وجلّ وبرسوله وبحكمهما منهم؛ فلم يقتل إلّا من استحقّ القَتْل. قال: يا بن عبّاس، إنّ قومى جَمعوا لى نفقةً، وأنا رسولُهم إليك وأمينُهم، ولا يَسعُك أنْ تردَّنى بغير حاجتى، فإنّ القوم هالكون فى أمره، ففرِّج عنهم فرَّج الله عنك! فقال ابن عباس: يا أخا أهل الشام، إنما مَثَلُ علىٍّ فى هذه الأمّة فى فضله وعلمه، كمثَلِ العبد الصالح الذى لقيه موسى عليه السلام؛ لما انتهى إلى ساحل البحر فقال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾؟ قال العالم: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾! قال موسى: ﴿سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾. قال له العالم: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلَا

---

(١) فى ل أقحم بعدها كلمة: «بحديث».
(٢) ك: «تسأل».
(٣) فى ك، ل: «أو».
(٤) سورة آل عمران ٦١.
(٥) الغضايرى: ضبطه ابن الأثير فى اللباب: بفتح الغين والضاد المعجمتين والياء المثناة تحتها ألف، وفى آخرها راء» وقال هذه النسبة إلى الغضار، وهو الإناء الذى يؤكل فيه؛ نسب جماعة إلى عمله، أو بيعه، من أبناء

تَسْأَلنى عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا. فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فى السفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ - وكان خرقُها لله جلّ وعزّ رضًا، ولأهلها صلاحًا، وكان عند موسى عليه السلام سُخطًا وفسادًا - فلم يصبر موسى عليه السلام، وترك ما ضمن له، فقال: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ! قال له العالم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ! قال موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾. فكفّ عنه العالم، ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ - وكان قتله لله جلّ وعزّ رضا، ولأبويه صلاحًا، وكان عند موسى عليه السلام ذَنْبًا عظيما - قال موسى ولم يصْبر: ﴿أَقَتَلْتَ نفسًا زَاكِيَةً[1] بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ! قال العالم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى عُذْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ - وكانت إقامته لله عزّ وجلّ رضا، وللعالمين صلاحًا فقال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾[2].

وكان العالم أعلمَ بما يأتى موسى عليه السلام، وكَبُر على موسى الحقُّ وعَظُم، إذْ لم يكن يعرف هذا، وهو نبىّ مرسَل من أولى العزْم، ممن قد أخذ الله جلّ وعزّ ميثاقه على النبوّة، فكيف أنت يا أخا أهل الشام وأصحابك! إن عليًّا رضى الله عنه لم يقتُلْ إلاّ من كان يُستَحلّ قتلُه؛ وإنى أخبرُكَ أنّ رسول الله ﷺ كان عند أمّ سلمة بنت أبى أميّة إذْ أقبل علىّ عليه السلام يريد الدخول على النبىّ ﷺ، فَنَقر نَقْرًا خفيًا، فعرف رسول الله ﷺ نَقْره، فقال: «يا أمّ سَلَمة، قُومى فافتحى الباب»، فقالت: يا رسول الله، مَنْ هذا الذى يبلغ خَطَرُه أن أستقبلَه بحاسنى ومعاصمى! فقال: «يا أمّ سَلَمة، إن طاعتى طاعة الله جلّ وعزّ، قال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[3]، قُومى يا أمّ سلمة، فإنّ بالباب رجلاً ليس بالخرق ولا النزق، ولا بالعَجِل فى أمره، يحبُّ الله ورسولَه، ويحبُّه الله ورسوله، يا أمّ سلمة، إنّه إن تفتحى الباب له فلن يدخلَ حتى يخفى عليه الوطء»، فلم يدخل حتى غابت عنه وخِفىَ عليه الوطءُ، فلمّا لمْ يحسَّ لها حركةً دفع الباب ودخل، فسلَّم على النبىّ ﷺ، فردّ عليه السلام وقال: «يا أمّ سلمة، هل تعرفين هذا؟» قالت: نعم، هذا علىّ بن أبى طالب، فقال رسول الله ﷺ: «نعم هذا علىّ، سيط[4] لحمه بلحمى، ودمُه بدمى، وهو منّى بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبىَّ بعدى. يا أمّ سلَمَة، هذا علىٌّ سيّدٌ مبجّل، مؤمَّل المسلمين، وأميرُ المؤمنين، وموضع سِرّى وعِلْمِى، وبابى الّذى آوى إليه، وهو الوصّى على أهل بيتى، وعلى الأخيار من أمّتى. وهو أخى فى الدنيا والآخرة، وهو معى فى السَّناءِ الأعلى، اشهدى يا أمّ سلمة أنّ عليًّا يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين».

---

(١) زاكية، بألف بعد الزاى وتخفيف الياء: هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وأبى جعفر ورويس، أى طاهرة من الذنوب. وقرأ الباقون «زكية» بتشديد الياء من غير ألف. اتحاف فضلاء البشر ٢٩٣.

(٢) سورة الكهف ٦٦ - ٧٨.

(٣) سورة النساء ٨٠.

(٤) سيط: اختلط.

قال ابن عباس: وقَتْلهم لله رضًا، وللأمة صلاح، ولأهل الضلالة سُخْط. قال الشامّى: يا بنَ عبّاس: من الناكثون؟ قال: الذين بايعوا عليًّا بالمدينة ثم نكثوا، فقاتَلهم بالبَصْرة؛ أصحاب الجَمَل؛ والقاسطون معاوية وأصحابُه، والمارقون أهلُ النهرَوان ومن معهم؛ فقال الشامىّ: يا بن عباس، ملأتَ صدرى نُورًا وحِكمة، وفرّجت عنّى فَرّج الله عنك! أشهَدُ أن عليًّا رضى الله عنه مولاىَ ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

* * *

ويُروَى أنّ ابن عباس رحمه الله، قال: عَقِم النساءُ أن يجئن بمثل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه؛ ما رأيت مِحْرَبًا يُزَنّ به[١]، رَأَيْتُه يومَ صِفّين وعلى رأسه عِمامةٌ بيضاءُ، وكأنّ عينيه سِراجَا سَليط[٢]، وهو يقف على[٣] شِرْذمة بعد شِرْذمةٍ من الناس، يَعِظُهم ويَحُضُّهم ويحرِّضهم، حتى انتهى إلىّ وأنا فى كَنَفٍ من الناس، فقال: معاشِرَ المسلمين، استشْعِروا الخَشْية[٤]، وأكملوا اللأمَة[٥]، وتجلبَبُوا[٦] السَّكينة، وغُضّوا الأصوات، والحظُوا الشَّزْر[٧]، واطعنوا الوَجْز[٨]، وصِلُوا السّيوف بالخُطَا، والرِّماحَ بالنَّبْل[٩]، وامشوا إلى الموت مشيةً سجْحا[١٠]، فإنكم بعَيْن الله، ومع ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتِلون عدوَّ الله. عليكم بهذا السَّواد الأعظم، والرِّواق المطنب[١١]، فاضربوا ثَبَجَهُ[١٢]، فإن الشيطان راكسٌ فى كِسْره[١٣]، [نافجٌ حِضْنيه][١٤]، مفترش ذراعَيْه، قد قَدَّم للوَثْبة يدًا[١٥]، وأخّر للنكوص رجْلًا، فصمدًا صَمْدا[١٦]! حتى ينجلى الحقّ؛ وأنتم الأعلَوْن والله معكم ولن يترَكم[١٧] أعمالَكم[١٨].

* * *

(١) فى الفائق: «يزن به، أى يتهم لمشاكلته».
(٢) السليط: الزيت.
(٣) الفائق: «وهو يحمش أصحابه»، ويحمشهم. يحضهم.
(٤) استشعر: أى لبس الشعار؛ وهو ما يلى البدن من الثياب.
(٥) اللأمة: الدرع؛ وإكمالها: أن يزاد عليها البيضة.
(٦) تجليب: لبس الجلباب.
(٧) لحظ الشزر: النظر بمؤخر العين؛ وهو نظر المبغض؛ وذلك أهيب.
(٨) الوجر: الطعن؛ قال ابن الأثير: «من المعروف فى الطعن: أوجرته الرمح، ولعله لغة فيه. وفى الفائق: «واطعنوا الشزر»، وقال فى شرحه: «الطعن الشزر عن اليمين والشمال». وفى ل: الوخز.
(٩) قال الزمخشرى: «صلوا السيوف بالخطأ؛ أى إذا قصرت عن الضرائب تقدمتهم حتى تلحقوا الرماح بالنبل، أى إذا قصرت الرماح عن المطعونين لبعدهم فارموهم».
(١٠) المشية السجح: السهلة، والسجحاء، تأنيث الأسجح، وهو السهل.
(١١) الرواق: الفسطاط، المطنب: الممدود بالأطناب، جمع طنب، وهو حبل يشد به سرادق البيت.
(١٢) الثبج: الوسط.
(١٣) الكسر: الجانب.
(١٤) من الفائق، والنافج: المفرج، والحضنان: الجنبان.
(١٥) يريد بقوله: «قد قدم للوثبة يدا»، أنه إن أصاب فرصته وثب.
(١٦) الصمد: القصد. (١٧) لن يتركم: لن ينقصكم.
(١٨) من خطبه له فى نهج البلاغة ١: ١١٤ - ١١٥، ومنها فقر فى الفائق ١: ٥٤٣.

وعن ابن عباس، أنه قال: لقد سُبق لعليّ رضى الله عنه سوابق؛ لو أنّ سابقةً منها قُسمتْ على الناس لوسعتْهم خيرًا.

وعنه قال: كان لعليّ رضى الله عنه خِصال ضَوارسُ قواطع: سِطةٌ[١] فى العشيرة. وصِهرٌ بالرسول، وعلم بالتنزيل، وفَقْه فى التأويل، وصبرٌ عند النزال، ومقاومة الأبطال، وكان ألدَّ إذا أعضِل، ذا رأىٍ إذا أشكل.

* * *

قيل: ودخل ابن عبّاس على معاويةَ فقال: يا بنَ عبّاس، صف لى عليًّا؛ قال: كأنّك لم ترَه! قال: بلى، ولكنى أحبُّ أن أسمَع منك فيه مقالاً. قال: كان أميرُ المؤمنين - رضوان الله عليه - غزيرَ الدَّمْعَة، طويل الفكْرة، يعجبُه من اللِّباس ما خَشُنَ، ومن الطعام ما جَشَب[٢]، يُدنينا إذَا أتَيْناهُ ويجيبُنا إذا دعَوْناه. وكان مَعَ تقريبه إيّانا وقُرْبه منا؛ لا نبدؤُه بالكلام حتى يبْتَسِم، فإذا هو تبَسَّم فعن مِثل اللؤلؤ المنظوم. أما والله يا معاوية، لقد رأيته فى بعض مَوافقة، وقد أرخَى الليلُ سُدولَه، وغارتْ نجومُه؛ وهو قابض على لحيتِه، يبكى ويتَمَلْمَل تَمْلُمَلَ السَّليم[٣]، وهو يقول: يا دنيا إيّاىِ تَغُرِّين! أمِثْلى تشوِّقين! لا حان حَيْنُك؛ بل زال زوالُك! قد طلَّقْتُكِ ثلاثًا لا رَجعةَ فيها، فعيشكِ حقير، وعُمرُك قصير، وخطرُك يسير، آه آه من بعد السَّفَر، ووحْشة الطريق، وقلّة الزاد!

قال: فأجهَشَ معاويةُ ومَنْ معه بالبكاء.

* * *

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين[٤]، يصف محاسنَ أمير المؤمنين عليِّ بن أبى طالب، ومن حَضَره كرّم الله وجهه فى قصيدة له:

رأوا نعمةً لله ليستْ عليهمُ ... عَليك، وفضلًا بارغًا لا تنازَعُهْ

فعَضُّوا من الغَيظِ الطويلِ أكفَّهمْ ... عليكَ، ومن لم يرضَ فالله خادِعُهُ

من الدّين والدنيا جميعًا لك المنى ... وفوق المنى أخلاقه وطبائعه

[الطويل]

* * *

ورُوِى أن عديَّ بن حاتم دخل على معاوية بن أبى سفيان فقال: يا عدىّ، أين الظَّرَفات؟ يعنى بنيه: طريفًا وطارفًا وظَرَفة - قال: قُتِلوا يومَ صِفِّين بين يدىْ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال: ما أنصفك ابنُ أبى طالب إذ قَدَّمَ بَنيكَ وأخَّر بنيه! قال: بل ما أنصفتُ أنا عليًّا إذ قُتِل وبقيتُ. صف لى عليًّا، فقال: إن رأيتَ أن تعفِيَنى! قال: لا أعفيك. قال: كان والله بعيد المدَى،

---

(١) السطة: المتوسط. (٢) جشب الطعام: غلظ، أو كان بلا إدام. (٣) السليم: اللديغ.

(٤) لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الشهادتين وجعل شهادته بشهادة رجلين، وقال فيه: «من شهد له خزيمة فحسبه».

شديدَ القُوَى؛ يقول عدلاً، ويَحكم فَضْلاً، تتفجّر الحكمةُ من جوانبه، والعِلْمُ من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزَهْرتها، ويَستأنِس بالليل ووحشتِه. وكان والله غزير الدَّمعة، طويل الفكْرة، يحاسِب نفسَه إذا خلا، ويقلِّب كفّيْه على ما مضى، يعجبه من اللِّباس القصيرُ، ومن المعاش الخَشِنُ. وكان فينا كأَحَدِنا؛ يُجيبنا إذا سألناه، ويُدنينا إذا أتيناه، ونحن مع تقريبه لنا[١]؛ وقربه منّا: لا نكلِّمه لهَيبته، ولا نرفع أعيُننا إليه لعظمته، فإن تبسَّم فعن اللؤلؤ المنظوم، يعظِّم [أهل][٢] الدين، [و][٢] يتحبّب إلى المساكين، لا يخاف القويُّ ظُلْمَه، ولا يْيئس الضعيفُ من عَدله، فأقسم لقد رأيتُه ليلةً وقد مَثَل فى محرابه، وأرْخَى الليلُ سِر باله، وغارت نجومُه، ودموعُه تتحادر على لحيته، وهو يتململ تَمْلُمُلَ السّليم، ويَبكى بكاءَ الحزين، فكأنّى الآن أسمَعُه وهو يقول: يا دنيا إلىَّ تعرَّضْت؛ أم إلىَّ أقبلتِ! غُرِّى غيرى؛ لا حان حينُك، قد طلّقتُك ثلاثًا لا رجعةَ لى فيك، فعيشُكِ حقير، وخطَرُك يسير، آه من قِلّة الزاد وبعد السَّفر، وقِلّة الأنيس!

قال: فوَكَفَتْ عينا معاوية، [وجعل][٣] ينشِّفُها بكمِّه، ثم قال: يرحم الله أبا الحَسَن! كان كذا، فكيف صَبرُك عنه؟ قال: كصبر من ذُبح ولدُها فى حِجْرها، فهى لا ترقأ[٤] دَمعتُها، ولا تسكن عَبْرَتُها. قال: فكيف ذِكرُكَ له؟ قال: وهل يتركنى الدهر أن أنساه!

وهذا الخبر أتَمّ من خبر ابن عبّاس رحمه الله[٥].

---

(١) المسعودى: «إيانا».

(٢) تكملة من المسعودى.

(٣) من ل.

(٤) رقأ الدمع: سكن.

(٥) والخبر أيضًا فى الرياض النضرة ٢: ٢١٢، والمسعودى ٢: ٤٣٣.

محاسِن مَن أمسَك عَن الوقوع فى أصحاب النبى ﷺ

قال: قدِم عبد الله بن جعفر على عَبْدِ الملك بن مروان، فقال له يحيى بن الحكم، عَمّ عبد الملك بن مروان: ما تقول فى عليّ وعثمان؟ قال: أقول ما قال من هو خيرٌ منّى فيمن هو شرّ منها: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُك وإن تَغْفِرْ لَهُمْ فإنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[1].

عصام بن يزيد؛ قال: كنتُ عند حَمْزَةَ؛ حتّى أتاه رجل فسأله عن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وروى أنه كتب إسماعيل بن عليّ إلى الأعمش: أن اكتب لنا بمناقب عليّ، ووجوه الطَّعْن على عثمان رضى الله عنهما، فكتب: لو أنّ عليًّا لَقِىَ الله جلّ وعزّ بحسناتِ أهل الدنيا لم يَرِدْ ذلك فى حسناتِك، ولو لقيَه عثمانُ رضى اللهاعنه، بسيئات أهلِ الأرض لم ينقص ذلك من سيئاتك.

* * *

وعن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، قال: كان إياس بن معاوية لى صديقًا، فدخلْنا على عبد الرحمن بن القاسم بن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما، وعنده جماعة من قريش يتذاكَرُون السَّلَفَ، ففضَّل قومٌ أبا بكر وقوم عُمرَ، وآخرون عليًّا رضى الله عنهم أجمعين، فقال إياسٌ: إنّ عليًّا رحمه الله كان يَرَى أنّه أحقُّ الناس بالأمرِ، فلما بايع الناسُ أبا بكر، ورأى أنهم قد اجتمعوا عليه، وأنّ ذلك قد أصلح العامّة، اشترى صلاحَ العامة بنقض رأى الخاصّة - يعنى بنى هاشم - ثم ولّى عمرُ رحمه الله ففعل مثل ذلك به وبعثمان رضى الله عنه، فلما قُتِل عثمانٍ رحمه الله واختلفت الناس، وفَسَدَت الخاصَّة والعامّة، وجد أعوانًا، فقام بالحقّ ودعا إليه.

* * *

وقيل إنّه حضر مجلسَ عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله جماعةٌ من أهل العِلم، فذكروا عليًّا وعثمان وطلحةَ والزُّبير رضى الله عنهم أجمعين وما كان بينهم، فأكثروا وعمر ساكت، قال القوم: ألا تتكلّم يا أمير المؤمنين! فقال: لا أقول شيئًا؛ تلك دماءٌ طهَّر الله منها كَفِّى فلا أغمِس فيها لسانى!

---

(١) سورة المائدة ١١٨.

(٢) سورة البقرة ١٤١.

مساوئ تلك الحُروب ومَن تنقّص عَليّ بن أبي طالب
رضوان الله ورحمته وبركاته عليه

أبو نُعيم، قال: حدّثنا عبد الجبّار بن العبّاس الهَمْدانيّ، عن عمّار الدُّهْنيّ[1]، عن سالم بن أبي الجَعْد، قال: ذَكر النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم بعضَ أمّهات المؤمنين، فضحكتْ عائشة رضى الله عنها، فقال: انظرى يا حُمَيراءُ، ألّا تكونى أنت هى! ثم التفت إلى عليّ رضوان الله عليه، فقال: انظر يا أبا الحسن، إن وليتَ من أمرها شيئًا فارفُق بها.

وقال الزُّهْريّ: لما سارت عائشةُ ومعها طلحةُ والزبير رضى الله عنهم، فى سبعمائة من قريش، كانت تنزل كلَّ منزل فتسْألُ عنه حتى نبحتْها كلابُ الحَوْءَب، فقالت: رُدُّونى، لا حاجة لى فى مسيرى هذا، فقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم نهانى، فقال: «كيف أنتِ يا حُمَيراء، لو نَبحتْ عليكِ كلابُ الحَوْءب[2] - أو أهل الحَوْءب - فى مَسيرك، تطلبين أمرًا أنتِ عنه بمَعزِل!». فقال عبد الله بن الزبير: ليس هذا بذلك المكان الذى ذكره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ودارَ على تلك المياه حتى جمع خمسين شيخًا قَسامَةً[3]، فشهدوا أنّه ليس بالماء الّذى تَزعُم أنه نهيَتْ عنه، فلمّا شهدوا قَبِلْت وسارت حتى وافت البصرة، فلما كان حربُ الجمل، أقبلتْ فى هَوْدَج من حديد، وهو تنظر من مَنظَر قد صُيِّر لها فى هَوْدَجها، فقالت لرجلٍ من ضَبَّة، وهو آخذ بخِطام جَمَلِها أوبعيرها: أين ترَى عليَّ بن أبي طالب «رضى الله عنه»؟ قال: ها هو ذا واقف رافع يدَه إلى السماء، فنظرتْ فقالت: ما أشْبَهَه بأخيه! قال الضبيّ: ومن أخوه؟ قالت: رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: فلا أرانى أقاتلُ رجلًا هو أخو رسول الله صلى الله عليه وسلّم! فنَبذَ خِطَام راحِلَتِها من يده، ومال إليه.

* * *

وعن الحسن البَصْريّ رحمه الله، أن الأحنف بنَ قيس، قال لعائشة رحمها الله يومَ الجمل: يا أمَّ المؤمنين، هل عَهِد إليك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هذا المسير؟ قالت: اللهمَّ لا، قال: فهل وَجَدْتِه فى شىء من كتاب الله جلّ ذكره؟ قالت: ما نقرأ إلّا ما تقرءون، قال: فهل رأيْتِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم استعانَ بأحد[4] من نسائه إذا كان فى قِلّة والمشركون فى كثرة؟

---

(١) كذا فى ل، وهو يوافق ما فى تهذيب ٧: ٣٠٦، وفى ك: «الذهبى» تصحيف.

(٢) الحوءب: موضع فى طريق البصرة.

(٣) القسامة، بالفتح: الجماعة يقسمون على الشىء، ويحلفون.

(٤) كذا فى ل، وفى ك «بشىء».

قالت: اللهمّ لا. قال الأحنف: فإذنْ ما هو ذنبنا!.

قال: وقال الحسن البصريّ: تقلّدتُ سيفى وذهبتُ لأنصرُ أمَّ المؤمنين، فلقيَنى الأحنف، فقال: إلى أين تريد؟ فقلت[1] أنصرُ أمَّ المؤمنين. فقال: ما قاتلتَ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المشركين، فكيف تقاتِل معها المؤمنين! قال: فرجعتُ إلى منزلى، ووضَعتُ سَيْفى.

(١) ك، ل: «فقال» تصحيف.

مساوئ من عادى علي بن أبي طالب
رضى الله عنه

قال: ولمّا فَرَغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل الجمل، دخل عليه عبدُ الله بنُ الكَوّاء، وقيس بنُ عُبَادة اليشْكُرىّ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أخبرْنا عن مسيرك هذا الذى سرتَ، يضرب الناسُ بعضُهم رقابَ بعض! أرأيًا رأيتَه حين تفرَّقت الأمة، واختلفتِ الدعوة؟ فإن كان رأيًا رأيتَه أجبْناك فى رأيك، وإن كان عهدًا عَهِدَه إليك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأنت الموثوقُ به، المأمونُ فيما حدّثت عنه. فقال: والله لئن كنتُ أوّلَ من صدّق به لا أكون أوّل من كَذَب عليه؛ أمّا أنْ يكونَ عندى عهْدٌ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيه فلا، والله لو كان عندى ما تركتُ أخا تَيْمٍ وعدىّ على مِنبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولكنّ نبيّنا صلى الله عليه وسلّم لم يُقْتل قَتْلًا، ولم يُمت فجأة، ولكنّه مرض ليالىَ وأياما، فأتاه بلال ليؤذِنه بالصلاة، فيقول: إيتِ أبا بكر، وهو يروى مكانى، فلما قبض صلّى الله عليه وسلّم نظرنا فى الأمر، فإذا الصلاة عَلَم الإسلام، وقِوام الدِّين، فرضِينا لدنيانا مَنْ رضيَه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لديننا، فولّينا أمورَنا أبا بكر، فأقام بين أظهُرنا؛ الكلمةُ واحدة، والدين جامع - أو قال: الأمر جامع - لا يختلف عليه مِنّا اثنان، ولا يَشهد منّا أحدٌ على أحد بالشِّرك، وكنتُ آخذ إذا أعطانى، وأغزُو إذا أغْزانى[1]، وأضرب الحدودَ بين يديه بسيْفى وسَوْطى على كراهة منه لها، وودَّ أبو بكر لو أنّ واحدًا منّا يكفيه، فلمّا حضرتْ أبا بكر رحمه الله الوفاةُ، ظننتُ أنّه يَعْدِل عنّى لقرابتى من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسابقتى وفَضْلى، فظَن أبو بكر أن عمرَ أقوى منّى عليها، ولو كانت أثرةً لآثر[2] بها ولدَه، فولّى عمر على كراهة كثير من أصحابه، فكنتُ فيمن رضىَ، لا فيمن كَرِهَ. فوالله ما خَرجَ عمرُ من الدنيا حتّى رضىَ به من كان كرِهَه، فأقام عمرُ رحمه الله بين أظهُرنا؛ الكلمَة واحدة، والأمرُ واحدٌ؛ لا يختلف عليه مِنّا اثنان، فكنتُ آخذُ إذا أعطانى وأغزو إذا أغزانى، وأضربُ الحدودَ بين يديه بسوطى وسيفى، أتّبع أثرَه اتّباعَ الفَصِيل أمَّه، لا يعدل عن سبيل صاحبيه، ولا يحيدُ عن سُنّتهما، فلما حضرتْ عمرَ رضى الله عنه الوفاةُ، ظننت أنه لا يَعدِل عنّى لقرابتى وسابقتى وفَضْلى، فظنّ عمرُ أنّه إن استخلف خليفةً فَعَمِل بخطيئة لحقته فى قَبْره، فأخرجَ منها ولدَه وأهلَ بيته، وجعلها شُورَى فى ستّة رَهْطٍ، منهم عبد الرحمن بن عَوْف، فقال: هل لكم أن أدَعَ لكم نصيبى على أن أختار لله ولرسوله! قلنا: نعم؛ فأخذ ميثاقنا على أن نَسمع ونطيع لمن ولّاه؛ وأخذنا ميثاقهاعلى أن يختار لله ولرسوله فوقع اختيارُه

---

(١) أغزانى، أى بعثنى للغزو.

(٢) ك: «لكان آثر».

على عثمان رضى الله عنه، فنظرتُ فإذا طاعتى قد سَبَقَتْ بَيْعتى، وإذا ميثاقى قد أُخِذ لغيرى، فاتّبعتُ عثمانَ، وأدّيتُ إليه حقَّه على أثَرَةٍ منه، وتقصير عَنْ سنّةِ صاحبَيْه، فلمّا قُتل عثمانُ رضى الله عنه، نظرتُ فكنتُ أحقَّ بها من جميع الناس.

فقالا: صدقتَ وبَرَرْت، فأخبرنا عن طلحة والزبير بِمَ استحللْتَ قتالهما، وقد شَرَكَاكَ فى الهجرة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الشُّورى من عمر رحمه الله؟ فقال: قد شَرَكانى فى الهجرة وفى الشُّورى، ولكنّهما بايَعانى بالحجاز، وخَلَعانى بالعراق؛ ولو فَعَلا ذلك بأبى بكر وعمَر لقاتَلاهما.

فقالا: صدقتَ وبَرَرْت، وأنت أميرُ المؤمنين.

* * *

قال: ولمّا كان حربُ صِفّين كتب أميرُ المؤمنين رضوان الله عليه إلى معاويةَ بن أبى سُفيانَ: مالك يُقتل الناس بيننا! أبرز[1] لى فإن قتلتَنى استرحتَ منّى، وإن قتلتُك استرحتُ منك. فقال له عمرو بن العاص: أنصَفَكَ[2] الرجل فابرُز إليه، قال: كلّا يا عمرو، أردتَ أن أبرُزَ له فيقتلَنى وتثب على الخلافة بعدِى! قد علمتْ قريشٌ أنّ ابن أبى طالب سيدُها وأسدُها، ثم أنشأ يقول:

يا عمرو قد أسْرَرت تهمةَ غادرٍ ... برضاكَ لى تحتَ العَجاج برازِى[3]
ما لِلْمُلوك وللبرازِ وإنّما ... حَتفُ المُبارِز خَطفَةٌ من بازِى[4]
إن الذى مَنّتْكَ نفسُكَ خاليًا[5] ... قَتْلى، جزاكَ بما نَويتَ الجازِى!
فلقد كَشفتَ قِناعَها مذمومةً ... ولقد لِبستَ لها ثيابَ الخازِى

فأجابه عمرو بن العاص:

مُعاوىَ إنّنى لم أجْنِ ذنبًا ... وما أنا بالّذى يُدعَى بخازِى[6]
فما ذَنبى بأنْ نادى علىٌّ ... وكبشُ القومِ يُدعَى للبرازِ!
فلوْ بارَزْتَهُ للقيت قِرنًا ... حَديدَ النابِ شهمًا ذا اعتزازِ[7]
أجُبْنًا فى العشيرةِ يا بنَ هندٍ ... وعند الباهِ كالتّيس الحجازِى!

---

(١) ك: «أبرز لقتالى».

(٢) ك: «أنصفك الرجل من نفسه».

(٣) وقعة صفين ٣١٢، ورواية الشطر فى هذا البيت هناك:

يا عَمْرُو إنّك قد قشرت لِىَ العصا

(٤) صفين: «للبازى».

(٥) صفين: «فإذا الذى منتك نفسك».

(٦) صفين ٣١٤، وقبله:

معاوىَ إنْ نكَلْتَ عن البرازِ ... لكَ الويلاتُ فانظر فى المخازى

[الوافر]

(٧) رواية البيت فى صفين:

فلوْ بارزتَهُ بارزتَ ليثًا ... حديد النّاب يخطف كلّ بازى

[الوافر]

ثم كتب معاويةُ إلى عليّ رحمه الله أمّا بعد؛ فإنّا لو علمنا أنّ الحرب تَبلغ بنَا وبكَ ما بلغتْ، لم يجنِها بعضُنا على بعض، وإنْ كُنّا قد غُلِبنا عَلَى عُقولنا؛ فقد بَقِيَ لنا ما نَرُمّ به ما مضى، ونصلح ما بَقِيَ. وقد كنتُ سألتُك الشّامَ على أن تَلزمَنى لك طاعة، فأبيتَ ذلك عليّ. وأنا أدعوك اليومَ إلى ما دعوتُك إليه أمس، وإنك لا ترجو من البقاءِ إلّا ما أرجو، ولا تخافُ من الفَناء إلّا ما أخاف، وقد والله رَقّت الأجناد، وذهبت الرجالُ، ونحن بنو عبد منافٍ؛ وليس لأحدٍ منّا على أحد فضلٌ نَستذلّ به عبدًا، أو نسترِقّ به حرًّا.

فأجابه عليّ:

من عليّ بن أبي طالب إلى معاويةَ بن أبي سفيان. أما بعد، فقد جَاءنى كتابُك تَذكُر أنّك لو علمتَ أن الحربَ تبلغُ بنا وبك ما بلغتْ، لم يَجْنِها بعضُنا على بعض. وأنا وإيّاك لم نلتمس غايةً لم نبلغْها بعد. فأمّا طلبُك الشّام فإنى لَمْ أكنِ لِأعطِيَك اليوم ما منَعْتُك عنه أمس؛ وأما استواؤنا فى الخوف والرَّجاء، فلستَ بأمضَى على الشكّ مِنّى على اليقين، وليسَ أهلُ الشام بأحرصَ على الدنيا من أهل العراق على الآخرة.

وأما قولك: «إنّا بنو عبد مناف»، فكذلك نحن، وليس أميّة كهاشم، ولا حَرْب كعبد المطّلب، ولا أبو سفيان كأبى طالب، ولا الطَّليقُ كالمهاجر، ولا المحقّ كالمُبطل. فى أيدينا فضلُ النُبوّة التى قبِلنا بها العِزّ، ونفِيْنا بها الخِزْى.

* * *

عن الشَّعْبيّ، أنّ عمرو بن العاص دخل على معاوية وعنده ناس، فلما رآه مُقْبلًا استضحَك، فقال: يا أمير المؤمنين، أضحك الله سِنَّك، وأدام سرورَك، وأقرَّ عينَك! ما كلُّ ما أرَى يوجب الضَّحِكَ! فقال معاوية: خطر ببالى يومُ صِفّين، يوم بارزتَ أهل العراق، فحمل عليك عليُّ بنُ أبي طالب، فلما غَشِيكَ طرحتَ نفسَك عن دابّتك، وأبديْتَ عورَتَك[1]. كيف حضَرَك ذِهْنُك فى تلك الحال! أما والله لقد واقفتَه هاشميًّا مَنافيًّا، ولو شاء أن يَقتُلَكَ لَقَتَلَك.

فقال عمرو: يا معاوية، إن كان أضحَكَكَ شأنى فمِن نفسِك فاضحك، أما والله لو بدا له من صفحتِك مِثلُ الّذى بدا له من صَفْحَتى لأوجَع قَذَالَك[2] وأيْتَمَ عيالك، وأنهَبَ مَالَك، وعزلَ سلطانَك، غير أنّك تحرّزَت منه بالرجال فى أيديها العوالى[3]. أما إنى قد رأيتُك يومَ دعاكَ إلى البراز؛ فاحولّت عيناك، وأزبَدَ شِدْقاك، وتنشّر مِنخراك، وعرِق جِبينُك، وبدا من أسفلك ما أكره ذِكرَهُ.

فقال معاوية: حسبُكَ حيث بلغت! لم نُرِد كلَّ هذا.

* * *

---

(١) ك: «سوءتك».

(٢) القذال: جماع مؤخر الرأس.

(٣) العوالى: الرماح.

قال: وذكر أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه، قال: زعم ابن النابغة[١] أنّى تِلعابةٌ تِمزاحةٌ[٢]؛ ذو دُعابة، أعافس وأمارس[٣]، لا رَأىَ لى فى الحروب، هيهات! يمنعنى من العِفَاس والمِراس ذكرُ الموت والبَعْث؛ فمن كان له قَلْب ففى هذا عن هذا واعظ. أما وشرُّ القول الكذِب، إنه ليحدِّث فيكذب، ويَعد فيُخْلِف، فإذا كان البأس فأعظَمُ مكيدتِه أن يمنَحَ القومَ اسْتَه!..

* * *

قال: وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله يومَ صِفِّين: تبيَّن لى هل ترى علىّ بن أبى طالب! قال عبد الله: فنظرتُ فرأيتُه، فقلت: يا أبتِ، ها هو ذاك على بغلة شَهْباء، عليه قَباء أبيَض، وقلنْسُوة بيضاء. قال: فاسترجع وقال: والله ما هذا بيوم ذات السَّلاسل، ولا بيوم اليَرْموك، ولا بيوم أجْنادين! ودِدتُ أن بينى وبين مَوقفى بُعدَ المشرِقَين. فنزل سعدُ بن أبى وَقّاص وعبدُالله بن عمر، وقالا: والله لئن كان صوابًا إنه لَعظيم مشكور، ولئن كان خطأ إنه لصغير مغفورٌ. فقلت له: يا أبتِ، فمن يمنعك من الذى فعلا! فوالله ما يحول بينك وبين ذلك أحدٌ. فقال:

إنْ يَـرجع الشيـخُ ولم يُعَذِّرِ إذ نَزَل القومُ بضَنْـكٍ فانـظرِ
* ثم تأمَّلْ بعد هذا أو ذَرِ *

[الرجز]

وقال بعض الشعراء فى معاوية ومحاربته أميرَ المؤمنين علىّ بنَ أبى طالب:

قد سرتَ سَير كُليب فى عَشيرتِه لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جَسّاسِ!
الطاعنُ الطعنةَ النَّجلاءَ عائدُهـا كطُرَّةِ البردِ أعيا فَتْقُها الآسى[٤]

[البسيط]

* * *

عبدالله بن السائب، قال: جمع زيادٌ أهل الكوفة يحرِّضهم على البراءة من علىّ كرَّم الله وجهه، فملأ منهم المسجد والرَّحبَة، قال: فغَفَوْتُ غَفْوةً، فإذا بشىء له عُنقٌ مِثل عنق البعير، أهدل أهدَب[٥] فقلت له: مَنْ أنت؟ فقال: أنا النّقاد ذو الرَّقبة، بُعثتُ إلى صاحب القصر. فانتبهتُ فَزِعًا؛ فما كان بأسرعَ من أن خرج علينا خارجٌ من القصر، فقال: انصرفوا، فإن الأمير فى شُغْل عنكم اليوم، فإذا هو قد فُلِجَ، فقال عبدالله فى ذلك:

---

(١) النابغة: المرأة المشهورة بما لا يليق بالنساء، يريد بها أم عمرو بن العاص.
(٢) التلعابة والتمزاحة: الكثير اللعب والمزاح.
(٣) المعافسة: معالجة النساء بالمغازلة، ومثلها الممارسة.
(٤) النجلاء: الواسعة، والعائد هنا: الدم السائل.
(٥) البعير الأهدب: الذى طال هدب عينه، والأهدل: المسترخى المشفر.

ما كان منتهيًا عمّا أرادَ بنا حتى تأتَى لَهُ النَّقادُ ذو الرَّقَبهْ
فأسقَطَ الشِّقَّ منه ضربةٌ ثبتَتْ لمّا تَناول ظُلمًا صاحبَ الرَّحبَهْ

أراد عليًّا؛ لأنه قُتل فى رَحَبة المسجد.

* * *

الأصمعىّ، قال: سمع عامر بنُ عبد الله بن الزبير ابنَه يَنَال من علىّ رضى الله عنه، فقال: يا بُنَىّ، إيّاك وذكرَ علىّ؛ فإن بنى أميّة تَنقّصتْه ستين عامًا؛ فما زاده الله بذلك إلاّ رِفعةً!

قال: وقال عبدُ الملك بنُ مروانَ للحجّاج بن يوسف: جنِّبْنى دماء آل أبى طالب، فإنى رأيتُ بنى حَرْب. لما قَتلوا الحسين نزع الله مُلكهم.

محَاسِن الحسَن والحسَين ابنَىْ عَلىّ بن أبى طَالِب
رضى الله عنهم

رُوِىَ عَنْ أنس بن مالكٍ أنه قال: لم يكنْ فى أهل بيت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أحدٌ أشبهُ به من الحَسَن عليه السلام، وكان قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسّلم: «ابنى هذا سيّد، لعلّ الله جلّ وعزّ أن يُصلِح به بين فئتين من المسلمين»، وكان بينه وبين أخيه الحسين عليه السلام طُهْرٌ واحد، وكان أسخى أهل زمانِه.

* * *

وذكروا أنّه أتاه رجل فى حاجة فقال: اذهب فاكتب حاجَتَك فى رُقعة، وارْفَعْها إلينا نَقْضِها لك. قال: فرفع إليه حاجتَه فأضعَفَها له! فقال بعض جُلَسائه: ما كان أعظمَ بركة الرّقعة عليه يا ابن رسولِ الله! فقال: بركَتُها علينا أعظم حين جَعَلَنا للمعروف أهلًا. أما علمتَ أن المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة، فأمّا مَنْ أعطيتَه بعد مسألة؛ فإنما أعطيتَه بما بَذَل لك من وجهه، وعسى أن يكون بات ليلته متململًا أرِقًا، يميل بين اليأس والرجاء، لا يعلم بِمَ يتوجّه من حاجته! أبكآبة الردّ، أم بسرور النُّجْح؟ فيأتيك وفرائصُه تُرعَد، وقلبُه خائف يَخفِق، فإن قضيتَ له حاجته فبما بذل لك من وجهه؛ فإنّ ذلك أعظمُ ممّا نَال من معروفك.

* * *

قيل: وكان لرجل علَى ابن أبى عَتيق مال، فتقاضاه، فقال له: ائتنى العشيّة فى مجلس الولاية، فسلنى عن بيت قريش، فوافاه الغَريمُ فى ذلك المجلس، فقال له: إنّا تلاحَيْنا فى بين قريش، ورضينا بك حَكَما، فقال: آل حَرْب، قال: ثم من؟ قال: آل أبى العاص - والحسنُ بن على رضى الله عنه حاضر - فَشَقَّ ذلك عليه، فقال الرجل: فأين بنو عبدالمطلب! فقال: لم أكن أظنّ أن تسألنى عن غير بيت الآدميِّين، فأمّا إذا صرتَ تسألنى عن بيت الملائكة، وعن رسول الله ربُّ العالمين وسيِّد كلّ شهيد، والطّيار مع الملائكة، فمَنْ يساوى هؤلاء فخرًا إلّا وهو منقطع دونَهُم! قال: فانجلى عن الحسن عليه السلام، ثم قال: إنى لأحسِب إنّ لك حاجة! قال: نعم يا بنَ رسول الله، لهذا علىّ كذا وكذا.

فاحتملها عنه، ووصله بمثلها.

* * *

قال: وأتاه رجل آخرُ فقال: يا بنَ رسول الله، إنى عصيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم،

فقال: بئس ما صنعت! فبماذا عصيته؟ قال: قال صلّى الله عليه وسلّم: «شاوروهنّ وخالِفوهنّ»، وإنى أطعت صاحِبَتِي، فاشتريت غلامًا فأَبَقِ. قال له: اختر واحدة من ثلاث: إن شئتَ ثمن الغلام... قال: بأبي أنت وأمّي! قِفْ على هذه ولا تُجَاوِزْها؛ قال: أعْرِض عليكَ الثلاث، فقال: حَسْبى هذه، فأمَرَ له بثمن الغلام.

* * *

وذكروا أنّ رجلين: أحدهما من بنى هاشم، والآخرُ من بنى أمَيّة، قال هذا: قَوْمى أسمَحُ، وقال هذا: قَوْمى أسمح، وقال: فسل أنت عشرةً من قومك، وأنا أسأل عشرة من قومى، فانطلق صاحبُ بنى أميّة، فسأل عشرة، فأعطاه كلّ واحد منهم عشرة آلاف درهم، وانطلق صاحبُ بنى هاشم إلى الحسن بن علىّ رضى الله عنه، فأمر له بمائة وخمسين ألفَ درهم، ثم أتى الحسين عليه السلام، فقال: هل بدأت بأحدٍ قبلى؟ قال: بدأتُ بالحسَن، قال: ما كنت أستطيع أن أزيدَ على سيِّدى شيئًا، فأعطاه مائة وخمسين ألفًا من الدراهم، فجاء صاحبُ بنى أميَّة فحمل مائة ألف درهم من عشرة أنفس، وجاء صاحبُ بنى هاشم فحمل ثلاثمائة ألف درهم من نَفْسيْن، فغضب صاحبُ بنى أميَّة، فرَدَّها عليهم، فقبلوها، وجاء صاحبُ بنى هاشم فردَّها عليهما فأبَيَا أن يقبلاها، وقالا: ما كنّا نبالى أخذتَها أم ألقيتَها فى الطريق!

وكان الحسن بنُ علىّ رضوان الله عليهما أشبَهَ برسول الله صلّى الله عليه وسلم من صدره إلى قَدَمه.

وكان أيضًا أحدَ الأجواد، دخل على أسامة بن زيد وهو يجود بنَفْسه ويقول: واكَرْباه! واحَزناه! فقال: وما الذى أحزَنَك يا عمِّ؟ قال: يا بن رسول الله، ستون ألفَ درهم دينٌ علىّ لا أجد لها قضاءً. قال: هى علىّ، قال: فَكّ الله رهائنك يا بن النبى صلى الله عليه وسلم. ﴿الله أَعْلَمُ حَيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.